محمد جلال

هو وهي و يو سف زيدان

مجموعة قصصية

قصص

اهداء

في هدأة الليل، بينما ينام العالم، تصدح في قلبي انغام ناي حزين، اشعربالوحشة، تهفوروحي للبكاء، اتوق لعناق حبيب مجهول، قد يجيء... اولا يجيء!

الى الحبيب المجهول.. اهدي كتابي.

جميع الحقوق محفوظة للكاتب، لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو جزء منه بأي شكل من الأشكال أو بأي من أدوات النشر الإلكتروني أو النسخ أو التسجيل الصوتي إلا بإذن خطي مسبق من الكاتب.

القصص

1. ابتسامة ...من وراء السحاب
2. الشعب يريد ر قصة "استربتيز"!
3. سقوط الاله
4. وطن .... في ذمة الله
5. مزاميرالشيطان
6. تشابه اسماء
7. جريمة في مسرح العر ئس
8. صمت مطبق
9. ارض النفاق
10. حسرة ..
11. اكذوبة اسمها ...الحب
12. هووهي ...ويوسف زيدان
13. سرالأستاذ حسن..
14. الواجهات المضيئة..!
15. جمهورية المظلومين
16. خنوع
17. في شرفتي ...سوف اظل
18. حكاية "حازم"
19. الملحد

20. فئران تقرض الأحلام
21. سانتا كلوز حبيبي
22. آمين
23. نادية وسوسو.. اسلوب حياة
24. المحظوظة
25. مكالمة من مجهول
26. الحب ...واشياء أخرى
27. الذي خرج من الجرة!
28. المتسامي...
29. بصقة على وجه الزمن
30. رضاع الكبير
31. رو لية من خارج الصندوق
32. الانكسار
33. المجنونة
34. الزيف
35. الأبيض لون الصمت

ابتسامة ...من وراء السحاب !

وذات مساء افضى اليه ابوه بالسر، امك الآن عند الله في الاعالي ، من هنا عشق الصبي النجوم وتعلق قلبه بالسماء ، كان يود أن يحظى بنظرة منها او ابتسامه ، من وراء السحاب ، ولم لا ؟ اوليس الله في السماء ؟

في صباح عيد الام ، ازدانت المدرسة بالورود والاضواء والبالونات الملونة ،على حين غرة لكزه زميله سائلا بلهجة ساخرة:

-انت ايه اللي جابك النهارده ؟ مش امك ميتة ؟

في اليوم التالي ، طلب منهم معلم اللغة العربية ان يكتب كل منهم فقرة انشائية عن فضل الام، نهض طالب سمين في مقدمة الصف مشمرا عن ساعديه ، تناول ورقته في حبور ثم قرأ قوله تعالى:

"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ"

صفق المعلم والطلاب للطالب الهمام ، قام الطالب الثاني

ناظرا لزملائه بافتخار و شرع ينشد كببغاء ابله:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

عاصفة من التصفيق اجتاحت الفصل ، ثناء من المعلم وهتاف من الطلاب.

فجأة ، ادار الجميع رؤوسهم الى مؤخرة الصف، يد صغيرة ارتفعت على استحياء ، ابتسم الطلاب وسرى همس داخل الصف ،أمر المعلم الجميع بالصمت ،وسمح لصاحب اليد المرتعشة بالكلمة:

وقف مترددا ، ارتجفت انامله واطر فه بشدة ، كجندي امي يقف على لغم في ساحة معركة ،التقط ورقته و همس بصوت رقيق:

-اممم...عنوان قصتي "ابتسامة ..من وراء السحاب"

ضج الفصل بالضحك والسخرية، قطب المعلم حاجبيه و انفجر صائحا:

-سحاب ايه وهباب ايه ؟...باقول فقرة عن فضل الام ....اللي بعده!

تسمر الصبي في مكانه وبدا كما لو انه يغوص في مقعده ، او أن الأرض تهوي من تحت قدميه ، شعر ببرد شديد وضم ذراعيه الى جسده بقوة ، التصق بالحائط كرضيع مذعور يلوذ بحضن امه ، ارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة وأطل برأسه من بين قضبان النافذة .... دمعت عيناه وراحتا تعانقان السحاب!

تمت

الشعب يريد ر قصة "استربتيز"!

على عجل يرفع اغراضه من على سير نقل الحقائب ، يمضي في توجس الى خارج مطار "هيثرو" الدولي ، المطر ينهمر بغزارة وينساب في هيئة خيوط فضية رفيعة على واجهات المحلات الزجاجية ونوافذ السيارات، السحب الداكنة خلف البنايات العالية تعد بالمزيد من الامطار الشتوية.

من على البعد تلوح أضواء المدينة المبهرة كنجوم عالقة بين السماء والأرض ، تنبثق من قلب الظلمة سيارة اجرة سوداء ،اشبه ما تكون بأتوموبيل ليلى مراد في فيلم "غزل البنات" ، بسرعة يرفع حقيبته الى داخل التاكسي محاولا الاحتماء بياقة معطفه الجلدي الرخيص ، تصدمه رؤية اسمه الثلاثي المكتوب بخط اسود عريض على حقيبته الملفوفة بخيوط "الدوبارة"، الأستاذ مرزوق عبد المتجلي شحاته، محلة مرحوم ،غربية ، يبدو المشهد خارج السياق تماما.

يلصق وجهه بزجاج نافذة السيارة و يطالع المنازل والمحلات واليافطات الملونة التي راحت تعدو للخلف في سرعة مذهلة ،

يبهره كم الأشجار الخضراء المتراصة على جانبي الشارع والورود التي كست الأرض والجدران والشرفات.

كان المطر قد هدأ قليلا عند نزوله من السيارة الأجرة ،البالوعات المنتشرة على جانبي الطريق التهمت ماء المطر ولم يعد له اثر ، يدلف الى داخل الفندق وسؤال يتردد في رأسه ... ما السر ؟

مع تباشير الصباح ، تستقبله نسمات باردة عند خروجه من الفندق ، الجو صحو والسماء زرقاء صافية تسبح فيها غيوم بيضاء كالحليب ،يسترعي انتباهه هؤلاء البشر الذين يسيرون في هدوء وسلام، على الرصيف المقابل للبحر شاب وسيم يعدو في ملابس رياضية سماوية اللون ، وفي الجهة الأخرى من الشارع دراجة هوائية مسرعة تقودها فتاة حسناء تستمع الى الموسيقى في سماعاتها الصغيرة ،الابتسامة ملمح أساسي على وجوه الجميع ،تماما كالفم والعينين ، المكان كله اشبه بلوحة فنية ،كل ما فيها متناغم ، ماعدا شيء واحد ....هو!

يصل الى مقر الدورة التدريبية متأخرا، فيلا انيقة بيضاء

تحوطها الازهار الحمراء والزرقاء واشجار السرخس ،
تستقبله محاضرة اربعينية شقراء بابتسامة دافئة، تسأله في ود:
-كيف كانت رحلتك ،سيدي؟
يستغرب السؤال ،لا يرد ، فقط تنفرج شفتاه عن ابتسامة بلهاء ويجلس مترددا على المقعد الفارغ في الزاوية، يتلفت يمينا ويسارا ، رجال ونساء من مختلف الاجناس تبدو عليهم الجدية ، يتساءل : هل أتوا للعلم فعلا ؟
في المساء، تتلألأ النجوم الفضية في سماء المدينة الصافية بينما تهب نسمة منعشة على شارع العشاق ، تجذبه رائحة القهوة الزكية المنبعثة من احد المقاهي المطلة على النهر، يجلس ويطلب فنجانا من القهوة ، ليس حبا في القهوة ولكن لأنها المشروب الوحيد الذي تعرف عليه في القائمة، يلحظ تحلق مجموعة من الفتية والفتيات في احد الزوايا حول مغني شاب يعزف على جيتاره في انسجام ، يردد الجميع خلفه كلمات اغنيته الحالمة:

ورغم صمتك.. رغم حزنك

فيك شيء يحدثني.. يناجيني

يناديني

هلا ارحتني.. واخبرتني

ما كنه ذلك الشيء؟

فجأة ،يهلل الجميع و يصفقون ،يتلفت يمنة ويسرة بحثا عن سر التصفيق المفاجئ، يلمح في احد الاركان خافتة الاضاءة فتي وفتاة في قمة البهاء يقبلان بعضهما البعض ،يا الله...أيحدث هذا على مرأى ومسمع من الجميع و بهذه البساطة؟ لو ان الفتي والفتاة اقدما على ذلك في بلاده لاغتصبهم أولاد سليم اللبانين بدم بارد!

يبعث مشهد القبلة الحارة في نفسه غرائز مدفونة ، بلا تردد يتوجه الى حي الملذات بعد ان يحدد مكانه على الخريطة التي كان قد استلمها في مقر الدورة ، تداعبه الخيالات الآثمة وهو يغادر محطة القطار الانيقة متجها الى هناك ، حتما سيمتلك الغانية ويفعل بها ما يحلو له بجنيهاته الاسترلينية ، غير ان

صدمته كانت قاسية عندما صاحت في وجهه بحزم ، "من فضلك ، القبلات ممنوعة"!

ليس حزم الغانية فقط هو ما اثار دهشته، فتاة الاستربتيز أيضا لديها قانونها الخاص ،هي تتمايل وتخلع ملابسها قطعة تلو الأخرى ،ولكن اذا ما جرؤ احد على ان يهم بلمسها ،مجرد لمسها فقط ،زجرته بلهجة قاطعة "من فضلك ، ممنوع اللمس"!

تداعت الى ذهنه تساؤلات عدة ، كيف يمكن للغانية ان تدير فراش اللذة بهذا الحزم ونحن في بلادنا لا نستطيع ان نطبق القانون حتى في اعرق المصالح الحكومية ؟ فجأة يكتسى وجهه بابتسامة طفولية اذ يتخيل فتاة شقراء في ملابس جلدية فاضحة تجلس في كرسي مدير الجمعية الزراعية في قريته!

وكما بدأ الحلم جميلا ، سرعان ما انتهى ، ارتقى سلم طائرة مصر للطيران ، بمجرد ان وضع قدميه على الممر الذي يفصل بين المقاعد، اخترقت انفه وآذنيه روائح مألوفة واصوات صخب كان قد نسيها او هكذا ظن ،تفحص تذكرته وتأكد من

رقم المقعد ، مال برأسه للخلف وراح يسترجع ذكرياته الحلوة في مدينة الضباب ،قرر ان يرسم الابتسامة على وجهه أينما حل ، تماما كما رآهم يفعلون ،اقتربت منه المضيفة وسألته بلهجة فاترة ونظرة متجهمة:

-دجاج ام لحم ؟

ابتسم لها برقة ولطف وهمس:

-دجاج اذا تكرمتي.

مضت الى حالها...لم تبتسم!

في طابور ختم الجوازات ،راح يتعامل بلياقة مفرطة مع الجميع ،الابتسامة تعلو محياه طيلة الوقت ، لاحظ شيئا غريبا ،بدلا من ان يتقدم في الطابور الى الامام ،وجد نفسه يتقهقر ال الخلف ، ما الذي يحدث ؟ لابد وان هناك خطأ ما ، القى نظرة خاطفة على مقدمة الطابور، وجد ان أشخاصا من كل حدب وصوب يختلقون الحجج والاعذار ليندسوا في المقدمة ،استاء مما رأي ، احس بغصة في حلقه وارتعشت اطرافه ، شعر كما لو كان على وشك التحول الى "زومبي" او

مصاص للدماء ، فجأة ، صرخ بأعلى صوته وكأنه ينادي على شخص وهمي في مقدمة الطابور:

-يا محمد يا عبد العزيز!

وفي لمح البصر، احتل موقعه في مقدمة الطابور!

تمت

سقوط الاله

لاشيء غير اللون الرمادي يظلل سماء حياتها، لقد سئمت كل شيء ، ماعاد هناك شيء يدفيء برد قلبها ، او يملأ خواء عقلها غير الفيسبوك ، ، نعم الفيسبوك ، حواراتها اليومية مع اصدقائها وصديقاتها أصبحت طقسا مقدسا ،هي تعلم انهم أصدقاء افتراضيون او على الاصح وهميون ، منهم من تتظاهر بانها امرأة وهى رجل و منهم من يدعي النبل والشرف وكل همه الفوز بلعاب ليل.

ولكن ...ماذا عساها ان تفعل ؟ ليس لديها بديل ، زوجها مشغول دائما في عمله ، وهي مهملة دائما وملقاة في ركن من اركان المنزل ، قطعة اثاث بالية ، لا أطفال ، لا عمل ، لا شيء ، حالة من الفراغ المادي والعاطفي ، حتي زوجها التي ظنت يوما انها تحبه ، لم يعد كما كان ، اصبح عابر سرير .

فجاة، تغير كل شيء، اصبح لكل شيء لون وطعم ، اصبح لحياتها معني ، كل هذا فقط لمجرد ظهور شخص في حياتها ،

شخص بمفرده كفيل بأن يغير نظرة انسان الى العالم ، وحتى الى نفسه ، ولكنه لم يكن كأي شخص ، لم يكن كمثله احد ، هو الكاتب والروائي والفيلسوف ، هو الأستاذ.

لم تكن قد سمعت به من قبل، كان اول عهد لها به من خلال احدى صديقاتها على الفيسبوك ، انضمت الى صفحته ، من يومها صار هو كل حياتها ، ملأ عالمها بفكره ومحاضراته ورواياته ،قرات كل كتبه ، حفظت مقاطع من رواياته ، عشقت اسلوب القائه للشعر ، كانت لثغته في حرف الراء تشعرها بقشعريرة عذبة ، لم تعشها ابدا في حياتها ، حتى في اكثر اللحظات حميمية مع زوجها ، كثيرا ما سألت نفسها :هل هي تعشقه ؟ هل هو سراب الحب المراوغ الابدي؟ ولكنها دائما ما كانت تضحك من سذاجتها ، و تطرد من ذهنها ذلك الخاطر ، هو متزوج ولديه أولاد وقبل كل شيء... في عمر والدها .

كان لا بد وان تراه ، تكلمه وجها لوجه ، تحاوره عقلا لعقل ، تناجيه قلبا لقلب ، علمت من خلال صفحته على الفيسبوك

بانه سيقيم حفل توقيع لروايته الجديدة، في احدى المكتبات الشهيرة بالزمالك .

هناك رأته ، شعرت كما لو كانت تحلم ،تراقص قلبها فرحا وغبطة ، ها هو الأستاذ بشحمه ولحمه ، كثيرا ما كانت تخشى بان يكون وهما ، كمعظم اصدقائها على الفيسبوك ، تحلق الشباب والبنات حوله في صخب وفرح ، منهم من كان يطلب توقيعه على الرواية ، ومنهم من أراد ان يلتقط صورة تذكارية معه ، كان الملهم لأناس كثيرون في زمن ندر فيه الملهمون.

اقتربت منه بخطى متئدة ،غمر وجهها خجل انثوي ساحر ، اكتست شفاهها بابتسامة عذبة ، مدت يدها تصافحه ، قبض على يدها بقوة وسألها :

-اتقابلنا قبل كده ؟

-لاء

-اوك ، ده الكارت بتاعي ، ابقي كلميني.

تخضبت وجنتاها بحمرة رائقة، دست البطاقة في ثنايا ملابسها ، بالقرب من قلبها ، اسرعت الخطو الى خارج المكتبة ، تكاد تحلق في سماء الزمالك ' تكاد ترقص وتغني مع عصافير السماء .

في المساء ، على انغام موسيقى التانجو ، اخذت دشا ساخنا ، استعذبت ملمس قطرات الماء وهي تداعب مسام جسدها الناعم في رقة ، اعدت كوبا كبيرا من عصير البرتقال البارد ، استعدت لحوار فكري عميق مع معبودها الذي تحول فجأة الى حقيقة :

-مساء الخير ، ازي حضرتك ؟

-اهلا، ازيك ..كنت عارف انك حتكلميني .

-وحضرتك عرفت ازاي؟

- هههههه....انا بأفهم في النسوان كويس اوي .

تمت ...

وطن .... في ذمة الله

ملل , رتابة , لا جديد .... الايام في الغربة مستنسخة من بعضها البعض بعبقربة فذة , حياة بلا طعم ولا لون ولا رائحة , ليس فيها ما يشعرك بالسعادة ... ولا الحزن .... هي اشبه بالموت !

كثيرا ما خطر له ان يعود الى وطنه الحبيب ، ولكنه كثيرا ما تراجع , لقد سمع من الحكايات الكثير عن اناس اتخذوا تلك الخطوة، وندموا عليها اشد الندم ,منهم من افلح في العودة الى الغربة ، ومنهم من ينتظر.

ولكن الى متى هذا التردد ؟ ايترك حياته تضيع سدى؟ هل الغاية من الحياة هي العيش الكريم وجمع الأموال فقط ؟ وماذا عن دفء الصحبة ولمة الاهل ؟ ماذا عن روح الحياة ؟

اخيرا ...اتخذ القرار...هبطت الطائرة الى ارض الوطن في هدوء وسلام ,اسرع الركاب ينزلون حقائبهم واغراضهم قبل ان تتوقف الطائرة , راحت المضيفة تصيح و تطلب منهم العودة لأماكنهم , لم يبال بصراخها احد !

تدافع الجميع في ممرات الطائرة ، زحام وصخب ولعنات مكتومة ، سباق محموم الفائز فيه من يغادر الطائرة ، وينهي الإجراءات في اقصر وقت , ولتذهب اللياقة و الاخلاق الى الجحيم .

تساءل في نفسه : الم تغير الثورة في المصريين شيئا ؟اما زالوا مدمنين للفهلوة؟ أكتبت عليهم الفوضى الى الابد ؟
اثناء وقوفه في طابور ختم الجوازات , لاحظ ان علامات الاستياء والحنق قد كست وجوه الضباط وامناء الشرطة , انهم يختمون الجوازات بلا ادنى اكتراث ,هم لا ينظرون الي من امامهم , لا يعيرونه اي انتباه...غريب!

فجأة، اطل من العدم رجلان ضخمان مفتولي العضلات ،يرتدي كل منهما بزة انيقة ونظارة شمسية سوداء، اقتربا من زميله في العمل واشارا له ان يترك الطابور و يرافقهم بجواز سفره واغراضه ، شعر بالقلق على زميله ، تري ماهي الجريمة التي اقترفها؟ ايكون عضوا في منظمة إرهابية ؟
ذهب ليجلب عربة "تروللي" لنقل الحقائب , فوجد طابورا

طويلا هناك , سأل : لما هذا الطابور؟ اجابه احدهم بدون ان يلتفت اليه :

- منتظرين الترولي ياسيدي!

بعد مرور ساعتين كاملتين ، نجح في الحصول على عربة ترولي ، حمد الله واثنى عليه ، ثم توجه الى سير الحقائب .

ولهول ما رأي هناك ، فوجيء بأن الرجلين الضخمين يحملان حقائب زميله واغراضه على اكتافهم ...سأله باندهاش :

- من هؤلاء ؟ ولماذا يحملون حقائبك ؟

ضحك صديقه ثم قال بلهجة لاتخلو من استعلاء :

- انت ماتعرفش ان اخويا مسئول مهم في الدولة؟
هنا...طلب منه ولده الصغير ان يصحبه الى الحمام لقضاء حاجته , استقبلتهم على باب الحمام سيدة مسنة ترتدي جلبابا وحجابا ازرقين غطاهما البلل والوسخ ...

-حمدا لله على السلامة ياباشا ...كل سنة وانت طيب ..

التقط من جيبه ورقة نقدية دسها في يدها في صمت .

-اووف ...ايه القرف ده !

سارع نحو صوت ولده الذي انبعث صائحا من الحمام , وجده قد وقف متقززا وسط بركة من المياه القذرة ، غطت ارضية الحمام ، وعامت على سطحها المناديل الورقية المتسخة ، صاح الولد منزعجا في أباه :

- بابا ...هي الثورة اللى انت كلمتني عنها ما دخلتش الحمام؟

ضحك الاب ضحكة مدوية وهمس في سره :

-معلهش يا ابني ، يبدو ان الحمام هو اللى دخل الثورة!

تمت

مزامير الشيطان

تفقد النوافذ والابواب واطمئن انه قد اغلقها جميعا، همهم يدعو دعاء الخروج من المنزل " بسم اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزلَّ ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَم ، أوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ" ....ثم اغلق الباب بالمفتاح وانصرف .

تلفتت "نور " يمنة ويسارا غير مصدقة انها قد باتت بمفردها، شعرت كما لو ان المنزل قد صار حديقة غناء ، كما لو أن روحا شريرة قد انصرفت للتو ، غريب تغير احساس الانسان بالمكان بتغير الأشخاص المحيطين ، اسرعت الى الطاولة الخشبية الصغيرة في منتصف الصالة ، التقطت ريموت التلفاز ، اشعلته بفرحة ، أضاءت الشاشة على احدى القنوات التي تخصصت في تصدير الصياح والصراخ واللحى الشعثاء ،شعرت كما لو ان خفاشا قد قفز من الشاشة و

التصق بوجهها ، ضغطت الزر بحركة لا ارادية لتغيير المحطة الي محطة أخرى للموسيقى الكلاسيكية ،تمددت على الاريكة برقة ونعومة ، فكت جدائل شعرها الأسود الناعم لينساب على صدرها وكتفيها في انسيابية ساحرة ،مدت يدها الي الطاولة الصغيرة بجانبها ، تناولت رواية "مدام بوفاري" ، كم تحب هذه الرواية ، فتحت الرواية على وردة حمراء ذابلة ، التقطت الوردة برفق ، دققت النظر فيها ، شعرت برجفة تسري في جسدها ، تسارعت دقات قلبها على نحو غير معتاد ، بدا لها كما لو انها قد صارت تماما كالوردة الذابلة ، ولما لا ؟ ألم تترك دراستها الجامعية من اجل الزواج ؟ ألم تتزوج من انسان يختلف عنها في كل شيء ؟ هي تعشق الموسيقى والشعر والادب وهو لا يعلم عن الدنيا شيئا سوى الحلال والحرام ، لا تتذكر انها اشتركت معه في حوار فكري ابدا ، كثيرا ما حاولت ان تدخله الى عالمها ولكنه دائما كان يحول كل شيء الى حرام

وحلال ومكروه ، حتى انها أصبحت تشعر كما لو كانت زوجة لمجلد قديم اصم غطته الاتربة ويرقات العناكب.

فجأة، صدر صوت وقع اقدام على باب الشقة ، دلف الى الداخل رجل يرتدي جلبابا ابيض ويتدلى من على راسه شال ابيض طويل ومن وجهه لحية سوداء كثة، اشبه ما يكون بكفار قريش بعد اعتناقهم الإسلام ،همهم يدعو دعاء دخول المنزل تماما كما فعل في الصباح عندما دعا دعاء الخروج ، انتبه فورا الى صوت الموسيقى المنبعث من التلفاز ، اسرع يصرخ في زوجته النائمة على الاريكة ، لم يلاحظ انها في نومتها بدت أشبه بملاك رقيق يسبح في عالم شفاف من الزنابق والفراشات الملونة ، لم ينتبه للوردة الحمراء الذابلة التي امسكتها بين انامليها الرقيقة او الرواية التي وضعتها بالقرب من قلبها ،صاح فيها بحدة :

-بسم الله ما شاء الله، معازف في بيتي، مزامير الشيطان في بيت الشيخ أبو حمص الترمساني !

استيقظت مفزوعة على صراخه واسرعت تخفي الوردة والرواية تحت الطاولة ، اعتذرت له ووعدته بانها لن تكرر فعلتها "النكراء" ثانية ، سألها عما اذا كانت اعدت طعام الغداء فاجابته بالإيجاب ، جلسا على المائدة يتناولان الطعام في صمت ووجوم ، سألها ان كانت قد أدت صلاة الظهر فأجابته بالنفي وعللت ذلك بانها انشغلت بإعداد الطعام ، نظر اليها في استياء ثم لعق أصابعه متمتما وانصرف الى غرفة النوم في سكون ،صاح فيها من غرفة النوم في غضب:

-صلي الظهر وتعالي هنا بسرعة.

- حاضر

صلت الظهر ، اطرقت برأسها في حزن ، شعرت كما لو كانت مقدمة على جراحة بدون مخدر ، دلفت الى حجرة النوم في وجل، وجدته قد ارتدى قميصا ابيضا من الكستور يصل حد الركبة ،ومن تحته اطلت ارجله

الكثيفة الشعر واصابع اقدامه المعوجة ،بدا كما لو كان تجسيدا نموذجيا لانسان النياندرتال الذي تحدث عنه "داروين " في نظريته ، اقترب منها في صمت ، التقط مسواكا من جيبه ومرره على اسنانه جيئة وذهابا مرة او مرتين ، ابتسم ابتسامة خبيثة تنم عما يضمر لها من نهم ، ملس بيده على شعرها ببرود ثم همهم :

-اللهم ما جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا!

تمت!

تشابه اسماء

دلف الى داخل مكتب تصاريح العمل بمديرية الامن ، هاله ما رأي وسمع من فوضى وصخب ، ازدحام وتدافع امام نوافذ قضاء المعاملات ، الموظفون صامتون واجمون ، ملامح وجوههم تشي بما يبطنونه من غضب وسخط ، هم ناقمون على كل شيء حولهم ، جمهور المواطنين ، رؤسائهم ، زملاؤهم ، هم كارهون لأنفسهم .

وقف في نهاية الطابور الممتد المتموج كثعبان ارقط ، تحرك الطابور بخطى بطيئة ثقيلة ، اشبه بخطى سلحفاة عجوز ، رائحة الانفاس والعرق تزكم الانوف ، مروحة السقف الوحيدة تدور واهنة مترنحة كأعرج مخمور يرقص ملوحا بزجاجة نبيذ ، الكل قلقون متوترون...اخيرا تم المراد من رب العباد ونجح في الوصول الى الشباك:

-حضرتك موعد استلامي لتصريح العمل النهاردة.

بدون ان يلتفت الموظف اليه ، طلب منه بطاقة الرقم القومي، راح يقلب في تصاريح العمل المتراصة امامه ، لم يجده.

-يبدو ان عندك مشكلة امنية يا استاذ، روح اسأل في قسم تنفيذ الاحكام ، المبنى المجاور، الدور الرابع.

-بس حضرتك انا ....

- يلا يا أستاذ ، مش فاضيين ...اللي بعده.

خرج ذاهلا مما سمع ، أي مشكلة امنية؟ قدماه لم تطأ قسم شرطة طيلة حياته فكيف تكون هناك مشكلة امنية؟

توجه لقسم تنفيذ الاحكام ، عرض على امين الشرطة المسئول مشكلته ، ابتسم الأمين ابتسامة عريضة كشفت عن اسنانه الصفراء ، ثم اشعل سيجارة كليوباترا و طلب منه بطاقة الرقم القومي ، ادخل رقم البطاقة على الكمبيوتر ، وبعد دقيقة نظر اليه بحبور:

-بسيطة ياباشا ، يبدو ان عندك مشكلة تشابه أسماء مع واحد عنده قضية تبديد.

-تبديد ايه؟

- قضية قائمة يعني ، واحدة رافعة قضية على جوزها انه بدد اثاث منزل الزوجية.

-طيب واعمل ايه دلوقتي ؟

-ابدا ...تروح قسم الشرطة الل انت تبعه وسيعطوك ورقة تثبت ان صاحب القضية شخص تاني.

-اوك..شكرا جزيلا.....

هم بالانصراف، حدجه امين الشرطة بنظرة استياء واندهاش ثم قال ممتعضا :

-شكرا جزيلا ؟ ماشي يا سيدي!

لم يدر لما استاء منه امين الشرطة، لا بد وان هناك شيء ما اغضبه، ولكن ما هو؟ الله اعلم!

في اليوم التالي توجه الى قسم الشرطة، الجو خانق شديد الحرارة ، المكاتب ملبدة بغيوم دخان السجائر ، الاتربة غطت الارضيات ودرج السلالم ، المتهمون في القضايا جلسوا القرفصاء لصق الحائط وايديهم مكبلة بالأصفاد، مشهد كئيب لم يره منذ ان سافر الى الخليج قبيل عشر سنوات.

-حضرتك انا عندي مشكلة تشابه أسماء وعايز .....

- ايوه ..ايوه ...بطاقتك لو سمحت.

تناول الموظف البطاقة واخذ يقلب في الملفات المتكومة داخل الخزانات الخشبية المتهالكة ، ثم سحب ملفا ضخما ذو حلقات معدنية كبيرة ،التقط منه محضر قضية تبديد الأثاث ، القى نظرة خاطفة عليه ثم نظر له نظرة تنم عن خيبة الامل :

-للأسف ، الاسم اللي في الملف ثلاثي فقط وعلشان تجيب الاسم الرباعي وتثبت ان المطلوب مش انت لازم تروح المحكمة.

خرج من قسم الشرطة يضرب كفا بكف ، ما هذا الخبل ؟ هل امر بسيط مثل هذا يستحق كل هذا العناء؟ لك الله يا ام الدنيا!

في اليوم الثالث ذهب الى المحكمة ، ممر طويل نصف مظلم ، تناثرت على جانبيه غرف الموظفين الصغيرة الضيقة ،جماهير غفيرة من المواطنين عجت بالمكان ، طاولات وكراسي خشبية متهالكة تكدست في كافة الزوايا والاركان ، أرضية رمادية قاتمة يبدو ان تحتها شيء كان يوما يسمى بالسيراميك ،اقترب من الموظف السمين الاصلع الذي القى برأسه على الطاولة مفترشا ذراعيه غاطا في سبات عميق :

-حضرتك انا عندي مشكلة تشابه أسماء.

رفع الموظف رأسه بفتور شديد، فرك عينيه بكلتا يديه ، مسح خيط اللعاب المنسال على جانب فمه ، تمتطى بتثاقل ثم تمتم متثاءبا :

-يوم السبت يا أستاذ

- هو ايه حضرتك اللي يوم السبت ؟

-يوم السبت تعالى نشوف مشكلتك.

-وليه مش دلوقتي ؟

-بص يا استاذ...الساعة بقت واحدة وانا صايم ومش حاقدر اشتغل تاني.

في اليوم الرابع ، توجه الى نفس الموظف ، القى عليه السلام ، لم يرد الاخير.

-حضرتك انا جيت لك من يومين علشان مشكلة تشابه الأسماء .

-اتفضل انتظر شوية.

جلس على الكرسي المجاور له يتأمل وجوه الموظفين السبعة الملتصقين بالجدران خلف مكاتبهم ، بدوا كما لو كانوا لوحات زيتية لأشخاص مضى على وفاتهم عهد طويل ، منهم من راح يقلب صفحات احدى الصحف الصفراء بلا هدف، ومن اخذ

يعبث بهاتفه المحمول باعين زائغة...مرت ثلاثون دقيقة ولم يلاحظ ان الموظف الاصلع يكتب او يجهز له شيئا .

-حضرتك انا بقى لي نصف ساعة منتظر .

نظر له الموظف باستياء ، ثم نزع ورقة من دفتر ايصالات امامه وناوله إياها قائلا:

- روح ادفع في الخزينة.

ذهب الى الخزينة ،دفع الرسوم المقررة ، عاد مجددا للموظف الاصلع ، ناوله إيصال الدفع ، تناول الموظف الايصال في صمت ، ثم أعطاه ورقة صغيرة عليها مجموعة من البيانات.

نظر الى الورقة ، دقق النظر ، قطب حاجبيه ، تسمرت ملامح وجهه ،البيانات الموجودة لا تفي بالغرض ، الاسم ثلاثي فقط ولا يوضح أي اختلاف بينه وبين المتهم المطلوب.

-حضرتك الورقة دي مش حتنفع ..انا عايز ورقة فيها الاسم رباعي .

-يا أستاذ اللي عندي اعطيته لك واتفضل بقى من هنا ... انا عندي شغل.

هنا ثار صاحبنا وهاج وماج واوشك على ان يمسك بتلابيب الموظف الاصلع المتكاسل ليلقنه درسا لا ينساه ، اسرع الموظفون الموجودون في المكتب للحيلولة دون وقوع مشاجرة لا يحمد عقباها :

-هدي اعصابك يا استاذ ، انت شكلك مسافر من زمان.

-ايوه ..بس ايه علاقة ده بالموضوع ؟

ضحك الموظف و قال وآثار الضحك لاتزال على وجهه :

-هات عشرة جنيه وانا انقذك.

اخرج من جيبه ورقة فئة العشرة جنيهات ، ناولها للموظف بدون ان يعلم ما سيفعل بها، اخذ الموظف الورقة النقدية ثم ترجل ناحية الموظف الاصلع المتكاسل ، ناوله إياها قائلا بلهجة مازحة:

-صباح الفل يا استاذ محمد...نهارك ابيض!

التقط الأستاذ محمد الورقة النقدية بفرح شديد كقرد يلتقط اصبعا من الموز ، لثمها بفمه ثم مررها على جبهته كما لو كان يؤدي طقسا دينيا ، دسها في جيبه وهو يتلفت يمنة ويسارا ، مد يديه الى الخزانة المعدنية الصدأة القابعة خلف مكتبه ،انزل ملفا ضخما يحتوي على عدد كبير من المحاضر والقضايا ،بسط الملف على الطاولة امامه ، نظر لصاحبنا وقد اكتسى وجهه بابتسامة مخيفة جعلته اشبه بعفريت مصباح علاء الدين :

-اتفضل يا باشا الملف كله تحت امرك !

تمت

جريمة في مسرح العر ئس

لم يجمعهم الثلاثة سوى شيء واحد ، الضياع ،كلهم ضائعون ، كلهم فاقدون لهويتهم ، جثث هامدة ما زال فيها بقية من نبض ، لم يشعر أي منهم بقيمة له في الحياة الا بعد ان اقترب منه ، نعم ، الروائي المشهور ، ذلك الذي اعطى لحياتهم معنى ، وليته لم يفعل.

الأول، محامي فاشل، قهرته ظروف الحياة ، لطالما حلم بأن يتخرج ويصبح وكيلا للنائب العام ،كثيرا ما ارتدى بذته السوداء وتأمل نفسه بشاربه الكث في المرآة ، انه يشبههم تماما ، ولكن هيهات ، نسي انه يعيش في بلاد الظلم والظلمات ، تخرج ولم يجد امامه سوى اختيار من اثنين ، اما سائق ميكروباص او عرضحالجي برتبة محامي .

الثاني : سيدة عزباء ، لاتربطها بالجمال علاقة من قريب او بعيد ، لم تعش علاقة حب طوال حياتها ، كانت مشاعر الحب لديها دائما من طرف واحد ، طرفها هي بالتأكيد ، تعاني من

وحدة قاتلة ، لاتزور احدا ولا يزورها احد ، لاشئ مهم في حياتها ، تدور في فلك من الفراغ اللانهائي.

الثالث : طالب في كلية الاداب ،قسم علم النفس ،كليل النظر ، ضئيل الحجم ، يشعرك منظره بانه مازال طالبا في الإعدادية ، يعلم تماما بان مستقبله حالك الظلام ، اقصى ما يمكن ان يحلم به هو العمل كأخصائي نفسي في احدي المدارس النائية.

حاصرهم الضياع جميعا ، نكل بأرواحهم ، الى ان التقوا صدفة ، التقى ثلاثتهم في احد صالونات الروائي المشهور، كان ذلك هو لقائهم الأول ، هناك تعارفوا ، بهرتهم الأضواء وكاميرات القنوات الفضائية ، عالم جديد تماما بالنسبة لهم ، لأول مرة يرون كاتبا مشهورا وجها لوجه ، لم يصدقوا انفسهم حين مد الروائي يده ليصافحهم ، معقول ، اما زالوا أناسا موجودين على قيد الحياة ، اما زالوا مرئيين للبشر ، لقد نسوا هذا الشعور منذ زمن طويل ، شعورهم بالضياع جعلهم يظنون انهم غير مرئيين ، وجودهم او عدمه لا يهم احد ، صاروا كما لو كانوا اشباح لأناس دهستهم عجلات الحياة.

ومنذ ذلك اليوم ، اصبح هوشغلهم الشاغل ، قبلتهم في الحياة ، لا هم لهم الا حضور ندواته ، وقراءة رواياته ، أصبح التعليق على منشوراته والترويج لمحاضراته عبادة يومية لا ينقصها الا الوضوء قبلها.

لا ينسى المحامي ذلك اليوم عندما تهكم عليه وكيل النيابة ونصحه بأن يشتري توكتوك ليعمل عليه، يومها اخرج صورة من جيبه جمعته مع الروائي المشهور واشهرها في وجه وكيل النيابة صارخا :

-انت مش عارف انا مين؟ انا صديق الروائي المعروف شريف حمدان.

يومها ظل يحدق في الصورة طيلة اليوم، ولوهلة تخيل انه غير موجود في الصورة، انه فقط الروائي المشهور في الصورة، وبجواره لاشيء ، يومها بكى كثيرا.

وكما هو معلوم ، دوام الحال من المحال، بعد تعدد اللقاءات والصالونات ، شعر الثلاثة بان اهميتهم التي تخيلوها هي

مجرد وهم في اذهانهم ، هم لا شيء ، مامعني تحلقهم حول الروائي أينما ذهب ، ما هي قيمتهم في الحياة ، ما هو الشيء الذي يميزهم عن غيرهم ، هم مجرد عرائس في يده يحركها كيفما شاء ، انه يستغلهم بلا رحمة، ما زالت السيدة العزباء تذكر كيف المح لها في يوم من الأيام ان تحضر صديقتها الحسناء له في منزله ، حتي الشاب كليل النظر لم يسلم من استغلاله ، لطالما امره ان يراجع رواياته لغويا ويكمل بعض فقراتها أحيانا.

فاض بهم الكيل ، سئموا قذاراته ، قرروا ان يثأروا لكرامتهم المسلوبة، حتى و لو خسروا وهج الولائم والسهرات والبرامج التلفزيونية ، ولكن كيف ؟

في صباح اليوم التالي ، تصدر الخبر ادناه عناوين الصحف الرئيسية :

"مصرع روائي شهير في شقته بالزمالك "

صمت مطبق

غريب ان يشعر المرء كما لو أنه قد استيقظ فجأة من سبات عميق ، كيف لم يلاحظ تلك التجاعيد التي زحفت على وجهه ، ولا ذلك الشيب الذي غزا رأسه ، حالة من الفتور جثمت على قلبه ، لم يعد هناك ما يبهج ، ولا يحزن ، هي نذر الموت لا ريب ، ذلك الشبح البغيض الملوح بمنجله في نهاية الدرب المظلم.

تملكه شعور خانق ، رغبة ملحة في الهروب الى الخلاء ، حيث لا احد ، التقط مفاتيح سيارته و انطلق مسرعا ، لايعلم الى اين ، خطر له ان يعرج الى الصحراء القريبة ، في دقائق كان هناك ، هرول الى قمة الجبل، تعثرت قدماه و تغضنت ملابسه ، ، لم يكترث ، خر راكعا على ركبتيه و شخص ببصره الى السماء ، اعترته رهبة غامضة ، صمت مطبق يلف الكون ، السماء ساعة الغسق حمراء دامية ، والغيوم بدت كما لو انها قطعان من الأغنام تساق نحو المجهول ، المنظر عجائبي تماما، وكأنه لوحة سيريالية لسلفادور دالي ، حدق في الأفق ،

ثبت عيناه على نقطة غير محددة ، رفع يديه بالدعاء ، لا يعلم بما دعا و لمن ، فقط تمنى ان يتكشف له سر هذا الوجود ، اقشعر جسده وترقرقت عيناه بالدموع ، همس بقلب خاشع: يا ...يا....حسنا .. حسنا .. لايهم ، لم انا هنا في هذا الكون العبثي ؟ امنحني كشفا من عندك ، لقد سئمت الحياة على هذه الاض ، لم جعلتني كالبقرة تركض معصوبة العينين في مدار لانهائي ، لا تعلم من فعل بها هذا ولم.

فجأة ، شعر برفرفة محببة حول اذنيه ، أصوات شقشقة ملائكية دنت من رأسه ، ها هي البشارة قد حلت ، آن للضباب ان ينقشع ، شعر بملمس شيء دافيء على جبهته ، تهللت اساريره و تلمس جبهته ببهجة عارمة ، وضع اصبعه على موطن الدفء ، ثبت نظره على اصبعه ، فاذ بالبشارة قد استحالت زخة براز ابيض من عصفور بري شارد.

تمت

ارض النفاق

سادت الاستوديو حالة من الجلبة والحركة في كل الاتجاهات، المصورون يجهزون كاميراتهم ويوزعونها على كافة زوايا الاستوديو، فني الكهرباء يفحص سبوتات الإضاءة ويتأكد من جاهزيتها للعمل، مقدمة البرنامج راحت ترش شعرها المصبوغ باللون الأصفر الفاقع بالاسبراي لتحافظ على هيئته المنتصبة خلال تصوير الحلقة، الكل مشغولون وعلى عجلة من امرهم. فجأة ...غمرت المكان حالة من الصمت والوجوم ، دلف من باب الاستوديو مجموعة من شباب الملحدين ...رحب المخرج ومقدمة البرنامج بالضيوف الملحدين بنوع من التقزز والفتور على عكس الحفاوة التي استقبلوا بها ضيف البرنامج الدائم الشيخ رمضان عبد ربه الذي اعتاد ان يختم حواره بعد نهاية كل حلقة مع المخرج بعبارة " ان شاء الله نكون عند حسن ظن معاليك ياباشا"

ستاند باي ...ثري...تو ...وان..

المذيعة: مساء الخير اعزائي المشاهدين ،النهاردة معانا ومعاكم

ضيوف مختلفين ، ضيوف بيمثلوا ظاهرة شاذة وغريبة عن المجتمع المصري المعروف بحبه للدين و للتدين.

ثم بدأت المذيعة في توجيه الأسئلة للضيوف :

-ممكن اعرف ايه اللى دفعكم للالحاد؟

-ببساطة ، لا دليل علمي على ما تزعمه الأديان بالإضافة الى ان الأديان بلا استثناء تحرض على العنف والكراهية واقصاء الاخر.

ما ان سمع الشيخ ذلك حتي هاج وماج وجعل يتفتف ويلوح بيديه ممتعضا ، ثم صرخ فيهم ورذاذ فمه يتناثر على لحيته:

- لا حول ولا قوة الا بالله، البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير.

ابتسم احد الملحدين بسخرية ثم وجه حديثه للشيخ قائلا:

-يا مولانا يبدو انك حافظ مش فاهم ، وبعدين قولنا كلام علمي نفهمه وبلاش كلام الانشاء بتاعك ده.

فجأة وبدون مقدمات انتفضت المذيعة من مكانها وصرخت

بشكل هستيري:

-استغفر الله العظيم، لا حول ولا قوة الا بالله، ايه الكلام ده ياكفرة ، انتوا اكيد مجانين ، الإسلام اعظم دين في العالم والشعب المصري حيفضل مسلم ومتدين طول عمره ...الرسول عليه الصلاة والسلام قال "كنتم خير امة أخرجت للناس "، اطلعوا بره الاستوديو يا كفرة ...اتفووووه عليكم.

خرج الضيوف في حالة من الدهشة والذهول من موقف المذيعة المفاجئ ، خلعت المذيعة الميكروفون وقطعة الايربيس ثم هبت واقفة وهرولت تهز اردافها الممتلئة في اتجاه مخرج البرنامج الذي كان يقف في احد زوايا الاستوديو مبتسما مما حدث ثم همست بابتسامة ماكرة:

-هاه ، ايه رايك يا أستاذ ؟ عجبتك؟

-اصلي يا نجمة ، حلقة حتكسر الدنيا ... بالمناسبة .. اديني وفيت بوعدي وعملتلك الحلقة اللي كنتي عايزاها ؟ ايه نظامنا الليلة دي ؟

رفعت المذيعة حاجبها الايسر وعضت على شفتها السفلى ثم

همست بخفة ودلال:

-لا يا حبيبي ، مش قبل ما أوقع عقد البرنامج الجديد.

تمت!

حسرة ..!!!

فتح عينيه ببطء شديد، كمولود يفتح عينيه على العالم لأول مرة ،شعر بخدر يسري في جسده كله ،خفة عجيبة لم يعهدها من قبل ، كأنه روح تحررت من جسدها ، بحركة متثاقلة نظر حوله ، فأذا بغرفة نومه قد صارت غارقة في ظلام دامس ، اغمض عينيه ثم فتحهما ، فركهما برفق ...لا فرق....ظلام.

لم يدر ماذا يفعل ، لا بد وان التيار الكهربائي قد انقطع كعادته في السنوات الاخيرة ، فكر ان يظل في فراشه لحين عودة التيار ، جعل يحملق في الظلام الحالك الذي غطى كل شيء حوله ، جالت في رأسه افكار عدة ، تذكر ليلة زفافه في هذه الغرفة منذ خمسون عاما، شعر بأسى لفقدان شريكة عمره بعد صراعها مع المرض الخبيث ، تذكر ولادة ولده الوحيد في هذه الغرفة ، يومها شعر أنه قد صار رجلا مكتمل الرجولة ، يومها شعر انه لا بد و ان يكون على قدر المسئولية ، لا بد وان يحقق في ولده " تامر" ما لم يستطع ان يحققه بنفسه.

ورغما عنه ، تسمرت ملامح وجهه ،شعر بغصة ومرارة في حلقه ،احس برجفة قوية تهز جسده الواهن ، سالت دمعة من عينه ، لم يتصور ابدا ان يكون الجحود ونكران الجميل جزاء رعايته لولده وشقائه لاجله طوال هذه السنوات ،تساءل في نفسه :هل كل الابناء جاحدون ام انه فشل في تربيه ولده الوحيد؟ هل من المعتاد ان يهمل الابن اباه لشهور طويلة بدون اتصال هاتفي على الاقل ؟ يا لتعاسة الانسان.

فجأة ، اضيئت انوار الغرفة ، دلف الى داخلها رجلان ، الاول رجل ممشوق القوام يرتدي بدلة انيقة ويحمل بين انامله سيجارا فخما ، الثاني رجل قصير يميل الى البدانة يرتدي جبة وقفطانا وعمامة ويحمل بين يديه طستا مملوءا بالماء الدافي ومن على كتفيه تدلى بشكير ابيض.

نظر الرجل الانيق الى الجسد المسجى على الفراش وقد غطته بطانية من مفرق شعره الى اخمص اصبعه ، اخذ نفسا عميقا من سيجاره ، ثم وجه حديثه للرجل البدين قائلا بلهجة شبه آمرة:

-يلا يا مولانا انجز ، عايزين ندفنه قبل المغرب.

حاضر يا " تامر " باشا!

تمت !

اكذوبة اسمها ...الحب

هناك. ...تساقطت قطرات المطر الشتوية الباردة فوق اسطح المنازل الطينية المغطاة بالقش والحطب ، لا يدري ما الذي جعله يخرج في هذه الساعة المتأخرة من الليل ليقف في هذا الزقاق العتيق ، وحيدا تحت أضواء أعمدة الانارة الواهنة ، ترتجف اذناه وانامله من شدة البرد ، كل ما يعرفه انه كان لا بد وان يراها ، حتي ولو من خلف ستائر شرفتها ، حتى ولو رأي ظلها يتحرك في ظلام غرفتها الدامس ، كان هذا كفيلا بتهدئة نار شوقه وحنينه اليها.

نعم ...هو طفل صغير مازال في العاشرة من عمره، ولكن شيئا ما بداخله كان يجعله يتعلق من وقت لأخر بجارة له في الحارة او حتى معلمة له في المدرسة ، لم يكن يعلم كنه هذا الشيء، كل ما كان يعلمه ان قلبه كان يهفو لرؤية هؤلاء ، وكم كانت سعادته غامرة عندما كان يجلس على شاطئ الترعة ساعة الغسق ليفكر في احداهن وقد اخذ يراقب الأضواء المنبعثة من القري المحيطة وهي تتلألآ خلف أشجار الموز والنخيل .

كبر الفتى وتخرج من الجامعة ،صادف العديد والعديد من الفتيات ، ولكن أحدا ما لم يلفت انتباهه ،كان يشعر وان عطبا ما قد أصاب قلبه ، كما لو كان قد تعطل عن اعظم مهامه ... الحب .. هل يمكن ان يتوقف القلب عن الحب؟ ام هو فقط عدم وجود من يستحق ذلك الحب؟

ذات صباح ...وفي بداية دورة جديدة في اللغة الانجليزية ، رآها امامه في كافتيريا المركز الذي يعمل به ...غريب ما حدث له في ذلك اليوم ، هل من الممكن ان ترى انسانا لأول مرة فتشعر كما لو كنت تنظر الى نفسك؟ شعور عجيب بالراحة والالفة، يبدو ان المقولة صحيحة...لكل انسان نصف اخر في هذا الكون وسعيد حظه من يجد نصفه الاخر.

هي فتاة حسناء خمرية البشرة، فارعة الطول، تمتلك عينين تشعان ذكاء ودلالا ، تشعر وهي تضحك كما لو ان العالم طفل صغير يتقافز فوق ارجوحته الخشبية.

انتهى اليوم الأول من الدورة بدون ان يتحدث معها ، لاحظ اثناء شرحه للمحاضرة انها لا تنظر اليه اطلاقا ، كانت فقط

تكتفي بتسجيل ما كانت تسمعه منه.

لم تكن ترتدي خاتم زواج ، حسنا .. لابد وانها عروس المستقبل ، حاول التقرب منها على مدار الأسبوع الأول ، ولكنها كثيرا ما كانت تصده بلطف ، لم يكن يدري لما تتصرف هكذا، ان نظراتها المختلسة اليه تنبئ بأن شيئا ما بداخلها تجاهه، فلما هذا التجاهل والرفض؟

ولكن. رويدا رويدا ...اخذت الشدة تتحول الى لين والرفض يتحول الى اقبال ،وبعد شهور ..صارح كل منهما الاخر بحبه ، شعر وكأن العالم كله قد صار ملكا له، أخيرا آن للحياة ان تبتسم ، أخيرا تحقق الحلم واصبح هناك قلب ينبض من اجله.

طلب منها اكثر من مرة ان يتقابلا في مكان عام كي يتعرف كل منهما على الاخر قبل الارتباط، ولكنها دائما ما كانت ترفض، كانت حجتها دائما انها تخشى ان يراها احد معه فتسوء سمعتها، الى ان اخبرته في يوم انها بحاجة للحديث معه في امر هام على شرط ان يكون هذا اللقاء بعيدا عن اعين الناس، لم

يفهم ما الذي كانت تقصده ، ولكن رغبته في معرفة ذلك الامر الهام جعلته يستعير مفاتيح شقة احد أصدقائه واصطحبها الى هناك، لم يكن يتوقع انها ستوافق على هذا الاقتراح.

هناك...وبمجرد ان دلفوا من باب الشقة ، سألها بلهفة وفضول:

-يا ترى ايه الموضوع المهم اللى اصريتي نتكلم فيه على انفراد؟

اكتسى وجهها بابتسامة عذبة ثم ردت برقة وغنج:

-بجد مش عارف؟

نظر اليها باستغراب قائلا:

-لا طبعا

نظرت اليه نظرة عميقة وقد احمرت وجنتاها ولمعت عيناها ثم همست قائلة:

-انت مش عارف ان من اول ما شفتك وانا نفسي فيك؟

ثم طوقت عنقه بذراعيها المرمرين وهمت ان تقبله.

تراجع للخلف مذعورا من هول المفاجأة ،اشاح بوجهه عنها ، ثم تمالك اعصابه وتمتم قائلا:

-ارجوكي انا مش عايز كده ، ياريت العلاقة اللي بينا تفضل نظيفة زي ما كانت دايما.

في اليوم التالي حاول ان يتصل بها كي يستفسر عن سر تصرفها الغريب فوجد تليفونها مغلقا فاضطر ان يستخدم رقم تليفونها الأرضي المسجل في استمارة تقديمها في دورة اللغات ، التقط هاتفه و طلب الرقم:

-الو...صباح الخير ... ممكن أكلم الانسة "رحاب"؟

-هههههه...الحقي ياماما، واحد بيسأل عليكي وبيقول الانسة "رحاب!!!!!"

تمت...

هووهي ...ويوسف زيدان

كثيرا ما تمنى ان لو كان بلا تجارب عاطفية، تبا لتلك التجارب...لولاها لشعر ان زوجته هي اجمل نساء العالم ، لولاها لأصبح للحياة طعم و لون ورائحة ، ولكنه كثيرا ما تساءل في نفسه، هل التجارب العاطفية لابد وان تكون سببا في شقاء الانسان في حياته الزوجية؟ هل هذا الشقاء عقاب من الله على تلك التجارب؟ ام ان الامر لا يعدو كونه مجرد صدفة وعدم توفيق في العثور على فتاة أحلامه؟

مرت الأيام والسنون بحلوها ومرها ، حدث نوع من الالفة والاعتياد ،وخصوصا بعد ان رزقهم الله بالبنين والبنات، ولكنه في خضم ذلك كله ، كان يشعر دائما ان ثمة شيء ينقصه ،كان يشعر ان حياته تسير بشكل آلي رتيب ،لا توجد أية جسور من التواصل والتفاهم ،هما ينتميان لعالمين مختلفين ، هو يهوى القراءة والرسم والموسيقى وهي تعشق الغسيل والطبيخ ومشاهدة المسلسلات العربية والتركية ومؤخرا الهندية، كان يشعر دائما ان سنين عمره تتبخر

وتتبدد كما يتبدد الشعر الأسود الجميل من رأسه ويحل محله الشعر الاشيب الكئيب بما يحمله من يأس وذبول .

فكر اكثر من مرة في الزواج للمرة الثانية عل ذلك يعيد لروحه حيويتها وشبابها ،ولكنه دائما ما كان يتراجع خوفا على مستقبل أولاده ورغبة منه في ان تسير مركب الحياة في سلام.

سألها يوما في محاولة منه لإدخالها الى عالمه ونثر بذور المودة والرحمة والتفاهم :

-حبيبتي ، ايه رأيك في يوسف زيدان؟

قطبت حاجبيها وردت بسرعة واندفاع وقد تناثرت قشور حبات اللب على شفتيها وذقنها:

-قطيعة تقطعه ، كرهته اوي لما فسخ خطوبته من مي عز الدين!

تمت!

سر الأستاذ حسن!!!...

تسارعت دقات قلبه بشكل ينذر بالخطر، عرق غزير غطى جبهته، قشعريرة تسري في بدنه ، شعور بالشلل يتخلل اطرافه ، هو لايدري ماذا تراه ان يفعل الان ، هل يدلف الى الداخل وليكن ما يكون ، اما يتخاذل عن واجبه نحو اسرته الصغيرة ويترك الوظيفة الوحيدة المتاحة امامه الان.

كانت الحياة تسير على ما يرام، شقة من غرفتين وصالة، سيارة شاهين في حالة جيدة، زوجة جميلة من عائلة محترمة وثلاثة أطفال يشعون براءة وذكاء، الى ان انتكست حركة السياحة بشكل مفاجيء و اضطر ان يمكث لشهور عديدة في منزله بلا عمل ولا مصدر دخل.

والان.... ثقب الامل الوحيد المتبقي امامه هو العمل كمدرس لغة انجليزية في احدى المدارس الخاصة ذات السمعة السيئة ، لقد وجد الوظيفة بصعوبة ، فهو لا توجد لديه اية خبرة في التدريس ، لطالما كره تلك المهنة ، هي مهنة تبعث على مشاعر متناقضة ، الشفقة والاحتقار ، شفقة على حال المدرس

المادي والمعنوي وما يتعرض له من إهانة وضرب من الطلاب ، واحتقار لما يقوم به بعضهم من تحرش جنسي او اجبار للطلاب على الدروس الخصوصية.

وها هو الان ...عليه ان يدخل الى الصف لأول مرة، المفترض انهم طلاب حريصون على مستقبلهم فهم في المرحلة الثانوية، ولكن الهرج والمرج واصوات الصراخ والضحك التي سمعها اثناء توجهه للصف لا تنذر بخير ابدا ، لا بد وانهم طلاب سيئوا السلوك ،انها طبيعة المرحلة العمرية التي يعيشونها ، لا هم أطفال ولا هم بالغين ، تري ماذا سيحدث ؟

واخير...استجمع رباطة جأشه وكتم أنفاسه والقى بنفسه الى داخل الصف ، نظر الطلاب اليه في دهشة واستغراب ،تقدم اليه احدهم وسأله بلهجة لا تخلو من سخرية:

-ايه يا برنس، بتدور على حد ؟

-انا مدرس الإنجليزي الجديد.

_انجليزي ...طيب جيف مي بقشيش ....هههههههههه

مرت الأيام بخطى ثقيلة ، سخرية واستهزاء من الطلاب بشكل

يومي ، كان اكثر ما يحرص عليه هو ان يقتصر الامر فقط على السخرية والا يصل الى حد الايذاء البدني ...كثيرا ما شعر بالاسى والاسف لحاله ، ولكنه كان يعزي نفسه بانه ليس الوحيد ، كل معلمي ومعلمات المدرسة يتعرضون للاهانات والاستهزاء بأشكال مختلفة ..الا مدرس واحد فقط ...الاستاذ حسن مدرس التربية الفنية ...الوحيد الذي يمتلك قدر ة سحرية على ضبط الصف ..الطلاب يجلسون في حصته وكان على رؤوسهم الطير..سأله اكثر من مرة عن سر تلك المهارة الفريدة في ضبط الصف وكان رده دائما...

-قوة الشخصية يا أستاذ ...لازم تكون شخصيتك قوية مع طلابك ...اومال انت فاكر ايه ؟

لم يقتنع ابدا بتلك الإجابة، هل كل المعلمين والمعلمات معدومي الشخصية والأستاذ حسن هو راسبوتين المدرسة ؟

ذات صباح ، مر بجوار احد الصفوف وكان الأستاذ حسن بداخله ، يتحدث بحماس وانفعال للطلاب والكل يستمع بإنصات واهتمام غريبين ، حاول ان يسمع ما يقوله الأستاذ

حسن ولكن للأسف لم يتمكن من ذلك نظر لان نوافذ الصف الزجاجية والباب كانوا مغلقين بأحكام.

شعر بفضول شديد لان يعرف ما يحدث داخل الحصة ، انتظر الي نهاية الحصة والتقي باحد طلاب الصف الذي تجمعه به علاقة طيبة وسأله:

-انتوا ليه قاعدين ساكتين مع الأستاذ حسن مع ان باقي الحصص بتقلبوها سيرك ؟

تلفت الطالب حوله بريبة وحذر ثم قال هامسا:

-اقولك يا أستاذ بس توعدني ما تجيبش سيرة لحد ؟

-عيب ..سرك في بير.

-الأستاذ حسن كان بيشرح لنا النهاردة طريقة تكبير العضو الذكري.

تمت !

الواجهات المضيئة..!

كانت تلك هي المرة الاولى التي يسافر فيها الى باريس , مدينة الجن والملائكة , ارض الجمال والنور , كثير ما قرأ وسمع عنها , وها هي الان , حقيقة ماثلة امام عينيه , مضت الايام الثلاثة الاولي بين حضور لجلسات المؤتمر في الصباح , وزيارة لمقاهي باريس الشهيرة في المساء , كان بداخله شغف وشوق لزيارة الاماكن التى تردد عليها العظماء , سارتر وسيمون دي بوفوار وفولتير وغيرهم من الكتاب والفلاسفة الذين تربى على كتاباتهم.

ذات مساء شتوي بارد , اقترح احد الاصدقاء القيام بزيارة , زيارة غير عادية , زيارة لشارع الملذات حيث المتعة والجمال , لم ترق له الفكرة , فقد آمن دوما بأن الجنس بلا حب كجسد بلا روح , كسماء بلا نجوم ....غير انه تحت سياط الالحاح ..... وافق.

هناك... داعبت نسمات النهر الباردة خصلات شعره المنسابة على جبهته ، تلألأت الاضواء الوردية على الواجهات الزجاجية للمحلات التي تراصت على امتداد الشارع , فتيات حسناوات من مختلف الاجناس والجنسيات , يتمايلن في خفة ودلال خلف الواجهات الزجاجية المضيئة , لا شيء يستر اجسادهن سوى قطعتين من الملابس الداخلية الملونة بألوان زاهية جذابة ,تزاحم الشباب باندفاع وصخب امام الفاترينات , يسألون ويجادلون في تفاصيل

الاسعار والخدمات المقدمة , شعر بالاسى الشدبد لحال تلك الفتيات , ان الانسان ليشعر بالحزن اذا ما اضطر لبيع سيارة او قطعة اثاث ، فقط لمجرد انها كانت تنتمي اليه في يوم من الايام , فما بالك بفتيات يبعن اجسادهن , اغلى ما يملكن , يبعنها لأي كائن كان , الخير والشرير, الصحيح والمريض , فقط لمجرد امتلاكه حفنة من المال.

فجأة , لمعت عيناه وانتفض قلبه , لقد رآها , جمال ملائكي, عيون زرقاء هدباء , شعر ذهبي لامع تدلى بانسيابية على كتفيها , جسد مرمري ناعم لو رأته فينوس الهة الجمال لغارت منه, لسبب لا يعلمه شعر برباط بينه وبينها ، ثمة شيء خفي شاركه معها ، اقترب من الواجهة الزجاجية المضيئة حيث بدت كملكة مستوية على عرشها ..سألها : بكم ؟ ردت بابتسامة ساحرة : 40 يورو...15 دقيقة.

دلف الى الداخل ، غرفة صغيرة توسطها سرير بالكاد يتسع لشخصين , الستائر المخملية الحمراء احاطت بالسرير , الانوار الوردية الخافتة انسابت بهدوء لتكسب المكان جوا سحريا اشبه بأحلام المراهقة , خلعت قطعتي الملابس التي كانت ترتديهما برقة وغنج , مدت يدها الطرية البضة الى درج صغير بجانبها ,اخرجت منه واقيا ذكريا وراحت تفض غلافه , هنا , امسك بيدها برفق

واشار اليها ان تجلس بجانبه على الفراش , سألها : لم انت هنا ؟
قطبت حاجبيها واكتسى وجهها بعلامات دهشة طفولية , كرر
السؤال : ما الذي القى بزهرة التيوليب وسط كومة القاذورات؟
اطرقت برأسها لبرهة ثم نظرت اليه وقد اغرورقت عيناها
بالدموع... همست : البعض يختارون مصائرهم والبعض يختارها
الفقر لهم....ثم سالت من عينها دمعة اشبه بحبة لؤلؤ تتراقص
فوق طبق من الكريستال , نظر اليها نظرة عميقة دافئة , مد انامله
يمسح دمعتها برفق وحنو ...اخرج من جيبه ورقة فئة المائة يورو و
دسها في يدها ، نظر اليها في حزن ثم طبع على جبينها قبلة
...وانصرف !

تمت

جمهورية المظلومين

اغمض عينيه واسند رأسه على المقعد الجلدي , ارتسمت على وجهه الذابل ابتسامة هادئة , تذكر يوم تخرجه من كلية السياحة والفنادق بتقدير امتياز ,ذلك اليوم الذي طالما حلم به وسهر الليالي الطوال من اجله , دائما ما حلم بلقب "دكتور" , د .سامح فوزي , يا له من اسم موسيقي جميل , والاجمل منه حرف الدال الذي يسبقه.

ولكن هيهات ..ابت الحياة الا ان تكون مأساة اغريقية ... لم يتحقق حلمه , قتلته المحسوبية اللعينة كما قتلت كل شيء في بلادنا...اختاروا ابنة احد اعضاء هيئة التدريس التي حصلت على جيدا جدا فى العام السابق!

وكما هو الحال دائما , لا بد للحياة ان تستمر ,الحياة لا تأبه بأحد , الحياة لا تتوقف من اجل احد , الظالمون ماضون في ظلمهم , والمظلومون يأنون ألما ويأسا ,لا شيء يتغير للافضل , الكون برمته اشبة بكرة صغيرة تسبح بشكل عبثي في فضاء سرمدي مظلم!

ورغم شعوره بالهزيمة والانكسار , دارت عجلة الحياة , عمل بأحد الفنادق الفخمة بشرم الشيخ , نجح بعد عدة سنوات في توفير مبلغ يسير من المال استطاع من خلاله الزواج وشراء شقة في " فيصل , " ذلك الحي الشهير بجمهورية فيصل الشعبية نظرا لاكتظاظه المخيف بالسكان.

ومرة ثانية , لم يتركه القدر وشأنه , وكأن مؤامرة كونية قد حيكت ضده , حدثت اضطرابات سياسية بالبلاد ادت لانهيار السياحة ...وانهياره هو ايضا ..اصبح بلا عمل ...اصبح لا شيء ...زوجة وطفلان يعولهم " لا شيء"...تبا لتلك الحياة!

اشارت عليه زوجته واقاربه ان يبيع شقته الصغيرة ويشتري بثمنها ميكروباصا...رفض ...صرخ ...بكي ..تساءل والقهر يعتصر قلبه :.هل من العدل ان يعمل الشاب المجتهد خريج الجامعة سائقا للميكروباص ؟

فجأة , استيقظ على صوت اتاه من الخلف صائحا : يلا يا اسطى " سامح " .....العربية كملت!

تمت !.

خنوع

والناس من خوف الفقر في فقر ...ومن خوف الذل في ذل

محمد الغزالي

انطلقت دقات جرس المدرسة إيذانا ببدء العام الدراسي الجديد...عام جديد من الغربة والقهر والملل ..... دائما ما اصابني هذا اليوم بالكثير من المشاعر المضطربة والمتضاربة في آن واحد ... .تدافع الطلاب الخليجيين والمقيمين في اتجاهات شتى يبحثون عن صفوفهم الجديدة ليصطفوا في النهاية في طوابير متوازية ومتساوية في الساحة الداخلية للمدرسة...المعلمون اقبلوا مبتهجين يتبادلون التهاني والسلامات فضلا عن القصص والطرائف التي جرت لهم

خلال شهري الاجازة الصيفية ...هناك لمحته للمرة الاولي....كان شابا في منتصف الثلاثينات ،قمحي اللون تميل بشرته الى السمرة وتشي ملامحه بكم القهر والمعاناة التي عانى منها قبل ان يطرق الحظ بابه وفي يده فرصة عمل في الخليج ، كان يرتدي بنطالا كاكيا وقميصا مشجرا ذو الوان زاهية و متنافرة وحذاء اسودا باهتا غطته الاتربة وكأن صاحبه قد اتي الى السعودية سيرا على الاقدام ....كانت ترتسم على قسمات وجهه علامات القلق والتوجس والاضطراب .....دفعني الفضول الى ان أسأل الزملاء عن الوافد الجديد، اخبرني احدهم بانه زميلنا الجديد في قسم اللغة العربية....الاستاذ/ رجب أبو صميدة.

ومن الأسبوع الأول بدت عليه علامات الجد والاجتهاد في العمل

، وكثيرا ما كان يحمل اجندة في يده ليعطي انطباعا لمن حوله بأن العمل هو شغله الشاغل حتي اننا بتنا نسميه "الاجنداوي" نسبة الى الاجندة ...واكثر ماكان يلفت الانتباه هو حرصه على ارضاء الرؤساء المباشرين وأعضاء الإدارة العليا بشتى الطرق.... لاحظنا انا وغيري ذلك عن كثب وكنا نجده امرا مبررا ...فأي معلم جديد لابد له وان يثبت اقدامه بالمدرسة ويضع بصمته الخاصة والا كان مصيره انهاء خدماته بلا ادني تردد والعودة الي حياة الضنك والمعاناة.

كان كل ذلك عاديا ، أما ما لم يكن عاديا فهو محاولته التقرب من رؤسائه بطرق مقبولة و غير مقبولة، بل ومهينة احيانا، فهو تارة يجلب لهم الهدايا بمناسبة وبدون مناسبة وتارة يقوم بدور الجاسوس على زملائه وتارة يحكي لهم القصص والنكات

الجنسية ..وكان مع نهاية كل شهر ووصول رسالة إيداع راتبه في البنك يزداد كبرا وحقارة ...كان يتعامل مع زملائه على انه اهم منهم وكان كلما تيقن من قوة علاقته برئيس له في العمل ، تطلع للمستوى الأعلى ،حتى انه كانت هناك روايات وغمز ولمز عن قوة وحميمية علاقته مع مدير المدرسة الخليجي و مكوثه في مكتبه لساعات طويلة والمكتب مغلق عليهم ....!!! كنا دائما ما نشعر بالإهانة والخزي بسبب افعاله فهو في نهاية الامر محسوب علينا كواحد من بني جلدتنا وكنا على يقين ان الإدارة تنظر له نظرة ازدراء و احتقار....او على الأقل كنا نظن ذلك ..

وذات صباح ، دق جرس الهاتف في قسمنا ،قسم اللغة العربية ، التقط رئيس القسم سماعة الهاتف ،وفوجئ بمدير المدرسة على الطرف الاخر، ازدرد ريقه بصعوبة بالغة وقال

بصوت مضطرب:

-صباح الخير يا افندم ،ازي صحة سعادتك ، أأمرني سيادتك.

-هلا أستاذ، رجاء تسلم مفاتيح مكتبك و ملفاتك للأستاذ /

رجب أبو صميدة.....رئيس القسم الجديد...!!!!

تمت !

في شرفتي ...سوف اظل.

اطل من شرفتي كل صباح على هذا العالم العجائبي، فيطرب قلبي لشقشقة البلابل وتلمع عيناي فرحا لرؤية خيوط الشمس الذهبية، تتسلل بخجل بين اغصان شجرة الصفصاف الوارفة ،....اشعر بالحب يغمر كل جوارحي .....ما اجمل هذا الكون وما اعظم من ابدعه!

في عربة مترو الانفاق، واثناء رحلتي اليومية الي مكان عملي، التحم الركاب ببعضهم البعض بسبب الازدحام المعتاد في مثل هذا الوقت من الصباح ،تصاعدت رائحة كريهة في الجو بسبب رائحة العرق والانفاس ، تنوعت اعمار واشكال الركاب ، فهذا شاب يحملق في هاتفه المحمول وهذه سيدة تصطحب طفلتها الى المدرسة وهذا موظف يمسح حذائه بمنديل ورقي وهذه سيدة عجوز لم تجد من يرفق بشيخوختها و يدعوها للجلوس، وكان بين هؤلاء رجلان....احدهما يرتدي ثوبا ابيضا قصيرا وقد تدلت من وجهه لحية طويلة غير مهذبة واخذ يقرأ القران بصوت عال غير مبال بمن حوله ، وعلى مقربة منه

وقف شاب ثلاثيني يرتدي صليبا في عنقه واخذ ينظر اليه نظرات تنم عن استياء وضجر ، اقترب المسيحي من المسلم وقال له:

-من فضلك اخفض صوتك قليلا فانت في مكان عام.

رفع المسلم راسه من المصحف ورد باستعلاء :

-هذا كلام الله ومن حقي ان ارفع صوتي في أي مكان كيفما شئت.

دهش المسيحي لهذا الرد المفاجئ وزفر بحدة:

-اذن من حقي ان اخرج انجيلي واقرأ فيه بصوت عالي مثلما فعلت.

على الفور انتفض المسلم ورد بغضب :

-كتابك محرف وعقيدتكم باطلة يا من جعلتم من المسيح الها.

ارتعد المسيحي واحمرت اوداجه وصرخ قائلا:

-اخرس ..اخرس يا من تشرب بول الابل وتضاجع الصغيرات وتنشر دينك بالقتل والذبح.

هنا تدخل شخص ثالث يحمل تحت ابطه كتاب "وهم الاله "، نظر إليهم بازدراء وقال بلهجة واثقة:

- أنتم الاثنان أجهل من دابة، انتم تتجادلون في أمور ليس عليها دليل والعلم الحديث اثبت تخلفكم وايمانكم بخرافات وخزعبلات.

وهنا وقعت الواقعة ، و نشبت معركة حامية بعربة المترو اصبت على اثرها بكدمة اسفل عيني اليمني علما بانني لم يكن لي ناقة ولا جمل ولم أشارك في الحوار بأي شكل من الاشكال.

لم اذهب للعمل في هذا اليوم وعدت لمنزلي في حالة من الذهول والالم أيضا.

وقفت في شرفتي وسرحت بأعيني وقلبي في جمال الأشجار وزرقة السماء وانعكاسها على صفحة مياه النهر ... ثم همست في نفسي قائلا:

- سحقا لكم ولما فعلتم بأربابكم، سوف اظل هنا في شرفتي.... مع خالقي.

تمت....!

حكاية "حازم"

كم انت كريه أيها الصيف بجوك الخانق وشمسك الحارقة، كانت تلك هي الكلمات التي تترد في ذهني اثناء دخولي لمحطة مترو الانفاق بمنطقة "الخلفاوي" ، زحام شديد اجتاح المحطة ، ركاب صاعدون واخرون هابطون ، لا احد ينظر لاحد ، الكل مشغولون وهائمون على وجوههم كما لو كانوا مخلوقات من "الزومبي"

الا وجه واحد ظل ينظر لي من وسط الحشود، شاب ثلاثيني حلو الطلعة جميل المظهر وقف يرقبني من على البعد، ولكن لما يحدق بي الشاب الوسيم هكذا ؟ لا بد وان هناك ثمة شبه بيني وبين قريب له او صديق .

وصل القطار ، تسابق الكل للركوب ، تدافع وشد وجذب كما لو كانت مباراة لكرة القدم الامريكية ، لامكان لموضع ساق في العربة ، الكل يشهق ويزفر لاعنا شدة الحر، ولكن ...ما هذا ؟ ثمة شخص يقف امامي ويكاد يلتصق بي بشكل غريب .

-لو سمحت ،ممكن تطلع ادام شوية ؟

-اوه ،انا اسف ..غصب عني ،حضرتك شايف الزحمة.

يا الهي ، انه الشاب الوسيم الذي كان يحدق بي على رصيف المحطة ، ولكن لما يحاول الالتصاق بي هكذا ؟ تبا لذلك الزحام اللعين.

للمرة الثانية ، الشاب الوسيم يرجع بقوة الى الخلف ويلصق ظهره بصدري ، انه يحاول ان يعبث بجسدي ، يالهي ...لقد اتضحت الصورة الان ،هو واحد من هؤلاء ، لا بد وان اضع حدا لهذه المهزلة، ولكن هناك مشكلة ، اذا حاولت ان ادفعه بيدي لربما كان مختلا نفسيا وحاول ان يضربني ،ومن الجائز جدا ان يشبعنا الركاب نحن الاثنين وابلا من اللكمات والركلات ..لا بد وان اتحمل هذا التحرش المنحط حتي يتوقف القطار في المحطة القادمة.

توقف القطار بهدوء في محطة "سانت تريزا" ، هبطت بسرعة مذهولا مما حدث ، ولكن ذهولي تضاعف عندما رأيت الشاب الوسيم امامي ، يبدو انه مجنون فعلا.

اقترب مني وابتسم ابتسامة ساحرة كشفت عن اسنانه البيضاء الجميلة.

-مساء الخير ، انا اسمي "حازم" وكنت عايز اتعرف على حضرتك.

- وانا يا سيدي مش عايز اتعرف عليك...عن اذنك.

انصرفت من امامه مهرولا الى خارج المحطة غير مصدق لما حدث ، يا للغرابة !! لقد اتضح ان هؤلاء الأشخاص موجودون في الحياة فعلا، لقد كنت اظنهم موجودون في روايات علاء الاسواني فقط.

ظل هذا الموقف مخيما على ذهني لعدة أيام ، لم استطع منه فكاكا ، ولم استطع ان انسى نظرات الضحك والاستهزاء التي صوبها لنا بعض الركاب المنتظرين على رصيف المحطة ، لا بد

وانهم يعرفون "حازم" ويعرفون حكايته ، لا ادري لما تعاطفت مع هذا الشاب المدعو "حازم" ، لقد سمعت كثيرا بأن هؤلاء الأشخاص لا يولدون "شواذا" ولكنهم يصبحون كذلك اذا ما تعرضوا لاعتداء جنسي في طفولتهم ، غالبا ما يكون من احد الأقارب او الجيران .

ولكني قرات على احد المواقع أيضا ان هناك بعض الأبحاث التي تؤكد ان هؤلاء الأشخاص يولدون بجينات الشذوذ ، يا لتعاستهم! انني لا استطيع ان أتصور كيف تكون حياتهم ، هل لديهم القدرة على الزواج والانجاب ، ام ان هذا الامر قد يكون حائلا دون سير الحياة في مجراها الطبيعي ، هم مساكين حقا ، ان هذا البلاء يجعلهم عرضة للسخرية والاحتقار من المجتمع باكمله ، وكثيرا ما يتعرضون بسبب تلك اللعنة للاختلاط بنوعيات منحرفة من البشر لتلبية رغباتهم الملعونة، سائق توتوك او صبي حلاق، أي ذكر أيا كان.

وبينما انا غارق في التفكير في حكاية "حازم" ، انطلق صوت امي من المطبخ مجلجلا :

-يلا يا "حازم " يا ابني ..الاكل حيبرد.

تمت ..!

الملحد

القى بجسده الواهن على الكرسي الخشبي القابع في شرفة شقته ، استسلم لنسمات الشتاء الباردة وهي تداعب خصلات شعره الأبيض المنساب على جبهته العريضة ، ما اجمل شمس الغسق وهي تتوارى في خجل خلف البنايات العالية ، ثم تذوب رويدا رويدا في أحضان موجات البحر الهادر.

لاحت منه نظرة الى الطاولة الخشبية بجانبه ، وجد كتابا كان قد شرع في قراءته منذ أيام بعنوان "الطريق الصوفي" للدكتور يوسف زيدان، تناول الكتاب برفق وحنو كمن يحمل طفلا رضيعا ، راح يقلب في صفحاته حتى وصل الى الفقرة التي كان قد توقف عندها منذ يومين، وجد انها تتناول فلسفة الشيخ الأكبر "محيي الدين بن عربي"، لفت نظره المقطع القائل:

لقدْ كنتُ قبلَ اليومِ أُنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينِهِ دانى
وقد صار قلبى قابلاً كلَّ صورة فمرعىً لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بدينِ الحبِّ أنىَّ توجَّهتْ ركائبه فالحبُّ دينى وإيمانى

ضم الكتاب الى صدره ثم تنهد بعمق وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة راحة و سلام ، مال برأسه الى الخلف، اغمض عينيه في رقة وهدوء ، همس في نفسه قائلا " يا الله ، ما اجمل ان يدين الانسان بدين الحب ، نعم ...هو الحل الأمثل لكل مشاكلنا ، فالاعتقاد باحتكار الحقيقة المطلقة هو اس البلاء ، في هذا العالم لا توجد حقيقة مطلقة ، التغير هو الشيء الوحيد الغير متغير ، حقيقة الامس هي خرافة اليوم ، قمة الجهل ان تعادي انسان لمجرد اختلافه معك في معتقدك ،من الذي يحسم بأنك على صواب وانه على خطأ ؟ لابد وان تقبل

الاخر المختلف ، وفي النهاية الحساب عند الله "هو اعلم بمن اتقى" .

فجأة ، شعر بغصة في حلقه ،وانسابت دمعة من عينه ، تذكر سني شبابه الاولي عندما انضم الى احد الجماعات الإسلامية واطلق لحيته ، تذكر كيف كان يحتد على والده الراحل وكم اشتعلت الشجارات بينهما بسبب حرص والده على قراءة كتب هيوم وسبينوزا وانجلز، كان يرى ان هؤلاء الفلاسفة ملحدين وان على والده ان يحرق كتبهم ويتوب الى الله ....،يحدق في الأفق ويهمس في نفسه " كم كنت اخرقا ، كيف جرؤت على ان انهر والدي واتخذ منه عدوا لمجرد اختلافي معه في وجهة نظر، يا لغبائي ورعونتي....ها انا الان اقرا كتب كل هؤلاء ...رحمك الله يا ابتي...كم اتوق لان اقبل يديك وقدميك اعتذارا عما بدر مني من حماقة وجهل".

هنا ...اقتحم عليه ولده المتشدد الشرفة فأبصر في يديه كتاب يوسف زيدان فاستشاط غضبا وصاح به قائلا:

-ايه ده يا بابا ، بتقرا كتاب ليوسف زيدان الملحد؟

-ليه يا ابني بتقول عليه ملحد؟

-لانه انكر المعراج وده شيء معلوم من الدين بالضرورة.

-وماهو تعريفك للمعلوم من الدين بالضرورة؟

تلفت الشاب يمنة ويسرة ثم ازدرد ريقه وزفر في حدة:

-لو سمحت يا بابا ...ما تغيرش الموضوع!!!

تمت !

فئران تقرض الأحلام

مشـــهد يومي اعتاد ان يكدر صـــفو صـــباحه ، مجموعة من الأطفال في عمر الزهور، بالكاد تترواح أعمارهم مابين السابعة والعاشـــرة، افترشـــوا ارضـــية النفق شـــبه المظلم ، حاولوا جاهدين الظفر بســـويعات قليلة من النوم بعد يوم شـــاق من الكد والتعب، ولكن كيف ســـيغمض لهم جفن في هذا المكان القذر ، هو عبارة عن أنبوب خرســـاني مجوف ،تجمعت على جانبيه القمامة وأثار التبول والبصـــقات ،على احد الجانبين ،امتد مجرى لمياه الصـــرف، باعثا رائحة كريهة تزكم الانوف ، مصـابيح السـقف نادرا ما تضـئ، نصـفها مهشـم والنصـف الاخر متذبذب الإضـــاءة، كما لو كانت مثبتة في معســـكرات تعذيب النازي، ، الفئران تعيث في المكان فســـادا ،تقترب من المساكين بخطى قلقة مترددة ،تتشـمم رائحة ملابسـهم المهترئة ورؤوسهم المتسخة بالأتربة والشحوم ، تحرك اعينها الزجاجية بســـرعة فائقة ،مع ســـيمفونية قبيحة من النهيز والصـــراخ في الخلفيـة ،المـارة لا يبـدون أي نوع من الاكتراث ، على الاغلـب يلقون نظرات باهتة تشي بقدر من الشفقة والاشمئزاز.

يســتقل مترو الانفاق ، يتراءى امامه هذا المشــهد المأســاوي مسببا له صداعا نصفيا ،يتساءل في نفسه :

-أي حياة تلك التي نحياها ؟ ما الهدف منها ؟ لو كان الشـيطان نفسه يحكم العالم لكان اكثر رحمة !

يصـل الى مقر عمله ، يلتقي بزميلته وتوأم روحه ، يتهلل وجهها البهي بابتسامة ساحرة تكشف عن اسنانها البيضاء الناصعة ،وغمازتيها اللاتان تخطفان القلوب :

-الف مبروك ، أخيرا حانت الفرصـة التي سـتمكننا من تحقيق احلامنا.

-اية فرصة ؟

-هنـاك اعلان في الجريـدة عن عزم الوزارة تعيين الموظفين المؤقتين.

-ولكن ...

ارتسـمت على وجهها الملائكي ابتسـامة عذبة ، وضـعت سـبابتها على شفته السفلى هامسة برقة:

- وبعدين معاك ...تفاءلوا بالخير تجدوه.

لم يشأ ان يطفىء بريق عينيها ، قام بتقديم أوراقه ،خاض كل الاختبارات بنجاح ،تبقى شيء واحد ، ختم الجهة التي يعمل بها على الأوراق لمنحه أولوية في التعيين، طلب مقابلة مدير المؤسسة التي يعمل بها، طرق الباب بوجل وتردد:

-صباح الخير يا افندم ،استأذن سيادتك في ختم أوراق تقديمي في اعلان الوزارة.

أشار المدير بيده السمينة الي السكرتيرة المثيرة ،عدلت من ملابسها وشعرها وانصرفت ، سأله مستنكرا :

-ماذا قلت ؟

تردد ،احمرت اذناه ، همس متلعثما :

-سيادتك ...ختم ...ختم المؤسسة ..ختم أوراق تقديمي في اعلان الوزارة.

-لابد وانك تهذي، هل نسيت انك تعمل لدينا بالقطعة ، المقصود بالإعلان المتعاقدين معنا من أبناء العاملين ، اما انت ، لو شئت ان افصلك الان لفعلت.

شعر بأنه قزم امام فأر عملاق ، احس كما لو أن الأرض تتهاوى من تحت اقدامه ،ثار الدم في عروقه ، صاح في وجهه قائلا :

- ولكن هذا ظلم ،لقد تفانيت في عملي لديكم عشر سنوات ،الا يشفع لي هذا؟

-لا ...لايشفع ...

غامت الدنيا امام عينيه ، اغرورقت عيناه بالدموع ، تذكر السنوات التي قضاها في المدرسة وفي الجامعة ، وها هو الان يعامل كما لو كان يعمل في عزبة وليس مؤسسة حكومية .

و عندما اسدل الليل عباءته السوداء على الكون ، جلس مع امه ليستمد منها بعض الراحة والطمأنينة ، لم يشأ ان يحكي لها عما حدث ، خشية ان يؤثر ذلك على صحتها المعتلة ، لاحظ تغضن وجهها ،سألها بابتسامة رقيقة :

-ما الذي يشغلك يا امي؟

-ابدا يا ابني ، افكر فقط في جهاز اختك وكيف سنقوم بتدبير المال اللازم لشرائه.

ربت على كتفها برفق ، ثم غمغم مبتسما :

-لا تشغلي بالك يا امي، الله كريم.

داهمه مشهد صراخه في وجه المدير ، نظر لوجه امه الحزين ، تذكر منظر أطفال النفق والفئران تتراقص فوق أجسادهم الهزيلة، شعر بالحزن والندم ،عزم على ان يعتذر له ، ولتذهب كرامته الى الجحيم!

في صباح اليوم التالي ، واثناء عبوره لبوابة المؤسسة ،اعترض طريقه احد افراد الامن صائحا:

-حضرتك ممنوع من الدخول ، صدرت أوامر بالاستغناء عن خدماتك!

ولكن ...

-اتفضل اذا سمحت والا استدعينا البوليس.

شـعر بالضـآلة ، احس انه لا شـيء ، تذكر وجه امه الحزين ، شخص بناظريه الى السماء الرمادية ، ارتاع من مشهد الفئران المتساقطة من السماء ، الفئران تملأ الأفق ،تجري صائحة في كل الاتجاهات ، تصـبغ الكون بلون فرائها الرمادي الكئيب، وضـع يديه على رأسـه واذنيه يحتمي منها ، قشـعريرة شـديدة سرت في جسده ،راح يصرخ كمن مسه طائف من الشيطان :

-الفئران تقرض الاحلام ! الفئران تقرض الاحلام !

قفز الى نهر الشـارع كالمجنون ، فجأة .. دوى في الأفق صـوت مكابح سيارة وارتطام مكتوم!

تمت

"من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في متاهات العمي."

— أبو حامد الغزالي

ارخى الليل سدوله على الكون، تسللت اشعة القمر الفضية من ثنايا ستائر الشرفة في رقة وخجل ، توافد الاحبة والأصدقاء الى مسكنه تباعا ، تراصت المشروبات الباردة والساخنة على الطاولة الخشبية في منتصف الصالة ،البعض جلب أكياسا من الفول السوداني والفستق المملح ، آخرون جهزوا النرجيلة للبدء في مراسم العرس الذي جمعهم الليلة ،مباراة المنتخب مع غانا، ما احوجهم لمناسبة مبهجة كتلك لقشع غيمات الغربة.

راح الكل يصيحون ويهللون مع كل تصويب وتمريرة، لفت انتباهه حماس بعض أصدقائه الملتحين وولعهم بهذه اللعبة ، هم متدينون وفي نفس الوقت يستمتعون بحياتهم ، شيء ما بداخله جعله يشعر بالغبطة من اجلهم ، نظرة الايمان

والرضا على قسماتهم هيجت اشواق قلبه للزمن البعيد، زمان الايمان.

مال برأسه للخلف، حدق في اللاشيء، عاد بالزمن اعواما طويلة للوراء، تذكر كيف دأب على ان يسبح دائما مع التيار، يصدق ما يصدقه الناس، ويلفظ ما يلفظوه، لم يشغل باله يوما بكيف ولماذا .

تداعت الى ذهنه تلك الأيام عندما بدأت الحياة تهدأ من وتيرتها و تسير صروفها الهوينا ، خطر له آنذاك ان يظفر لنفسه بلحظات من عمره ، راح يقرأ ويسمع لكتاب وفلاسفة من هنا وهناك ،وبما أن الأسئلة أطفال الحرية ، تساءل، ما الدليل على صحة كذا؟ كيف اقتنع بكذا وكذا؟ لابد من اعمال العقل في الخبر، أسقط الهالة وستتبدى لك النقائص والهنات.

وبعد أخذ ورد وتأمل وتفكير، وصل الى حقيقة، وهي أن لا حقيقة، لاشئ في الكون يمكن اثبات وجوده من عدمه ، الكون كله اشبه بهولوجرام لانهائي .

هنا بانت له سوءته ، بات مركبا بلا شراع ، مسافر ليل صوب المجهول ،انهارت المعتقدات الرواسخ ، غدا عاجزا عن إيجاد معنى لحياته ، اصبح همه ان يضع الكون في جملة مفيدة ، غرق في بحر من الأفكار المتلاطمة ، ثورة من الشك ، طوفان من الأسئلة .

شعر بالندم، ما الذي كسبه من فتح صندوق الباندورا؟ لقد انطلقت الحيات والعقارب تلدغه في عقله وقلبه ، نهاره وليله، أما كان من الأجدى العيش في رحاب سانتا كلوز بدلا من الخوض في تلك البحيرة المتجمدة ؟

ولكن.. كان ما قد كان...انفتح الصندوق وانى له ان ينغلق ، اصبح في منزلة بين المنزلتين ، فلا هو بقادر على ان يسبح مع التيار ولا ان يجهر بالتجديف ضده ، لابد من حل!

عزم على ان يستأنف ما اعتاد عليه من قبل، باقتناع او بلا اقتناع... لا فرق.

فجأة...افاق من شروده، الفى صاحبه الملتحي يربت على كتفه برفق :

- فيما سرحت يا صديقي؟

-لا...ابدا ..لاشيء

لاح على شاشة التلفزيون تنويه لصلاة العشاء ، دعاه الأصدقاء للإمامة ..اسقط في يده.. لبى الدعوة!

بدأت الصلاة ، وحميت المباراة....

المعلق : تمريرة من أبو تريكة...يستلمها عماد متعب...

الامام: صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ...

المعلق : أبو تريكة مع الجول ..ابو تريكة بيرقص ....

انسل الامام من الصلاة راكلا الهواء بقدمه: يلا يا اخي ...شوط بقي!

تمت

آمين

تحلق الجميع في فوضى وصخب حول الداعية الديني المتأنق، نظرات القهر واليأس اجتاحت ملامحهم، ملابسهم الرثة المهترئة تصرخ بفقرهم، راح الذباب والناموس يدور ويناور حول أوجه الأطفال التي غطاها الوسخ وسالت على جوانبها الامخطة، رفع الداعية الميكروفون بحركة مسرحية مزمجرا:

"اللهم ابني لهذه الوجوه الطاهرة المستبشرة بيتا عندك في الجنة، اللهم إن هؤلاء عبادك باعوا بهائمهم ومصوغات زوجاتهم لبناء بيتك المبارك "

ردد الجميع في صوت واحد: آمين!

تمت

نادية وسوسو.. اسلوب حياة

تراقصت الأضواء الملونة المنبعثة من واجهات الفنادق على صفحة النهر الحالم ، صدحت في الخلفية موسيقي اغنية "سهر الليالي" ... في احدى الزوايا خافتة الإضاءة بمقهى "العشاق" ، جلس الصديقان يتبادلان حوارا هامسا :

- كيف تجبر نفسك على الزواج من نادية على الرغم من عشقك لسوسو؟

- كرامتي تأبى أن ارتبط بمن منحتني شهدها بلا رباط شرعي.

على مسافة ليست بالبعيدة ، جلس صديقان آخران يتحاوران حول نفس الفتاتين :

- ولم ستتزوج من سوسو على الرغم من حبك لنادية ؟

- وما ادراني ان انا تزوجت نادية ألا تجود بعطاياها على كل محروم ؟ سأتزوج من سوسو الشريفة العفيفة.

احتدم النقاش بين الاصدقاء، سرت في الأفق همهمات واصوات ضجر مكتومة، تلفتوا حولهم ، فاذ بعشرات الشبان

قد توزعوا في زوايا المقهى القصية، يتبادلون حوارات هامسة ، بينما رسمت خيوط القمر الفضية على صفحة النهر .. ابتسامة ساخرة !

تمت

المحظوظة

الحق أني لم أعد احتمل نقرعكازاي المعدنيين على الدرج والممرات، أشعركما لو أن صوت العكازين بمثابة دعوة لمصمصة الشفاه ، عرض بكائي تعقبه نظرات أسى وأدعية استغفار، أينما حللت تحاصرني تلك النظرات، انني امقتها للغاية، لا أطيقها ، اشعركأنها مخالب تنشب في جسدي و روحي.

أبدأ رحلة الآمي اليومية بصعود الحافلة ، الكل يفسحون الطريق بعصبية مغلفة بابتسامة ، يتجنبون لمسي ، غريب أمرهم .. أيظنون ان شلل الأطفال مرض معدي ؟ تخترق أذناي همهمات الركاب ، مسكينة تلك الفتاة ، لاحول ولا قوة الا بالله ، هكذا يهمسون ، أشعربالكلمات تذبحني ، أتظاهربعدم الاكتراث ، يتطوع شاب وسيم بدعوتي للجلوس ، أهزرأسي ممتنة ، ترتسم على شفتاي ابتسامة حزينة ، أطرق برأسي و أتساءل ، هل تصرف الشاب هكذا بدافع اللطف والاعجاب اللائق بأنثى حسناء ؟ لا..لا ..من

المؤكد حتما أنه قد رثى لحالي ،فجأة تصدمني هيئة ساقي الصغيرة الضامرة ، غريب ما يعتريني هذه الأيام ، كلما نظرت لساقي المشلولة ،شعرت كما لو أني اراها للمرة الاولى !

من وسط الزحام، تحدق فيّ عينان بريئتان، يرتفع اصبع طفل صغير مشيرا في دهشة الى ساقي الضامرة ، تجفل أمه و تجذبه بشدة طاوية ذراعه و تبتسم ناحيتي فيما يشبه الاعتذار، أحاول عبثا تجاهل سلسلة الحماقات اليومية ، أطل برأسي من نافذة الحافلة ، احدق في واجهات المحلات ،" أتيليه ليلتي للعروس المحجبة"، "معارض جهاز العروسين للأثاث الراقي"، تتداعى الى ذهني كلمات أمي المعاتبة :

- كفاية يابنتي..نفسي اطمئن عليكي قبل ما اموت !

ربما كانت امي على حق ، ما العيب في ان أتزوج من ارمل او مطلق اوكهل قعيد ؟ انا مشلولة ، ربما كنت حسناء كما يقولون ، ولكني في النهاية معطوبة ،عروس بنصف ثمن .

توشك الحافلة أن تقترب من محل عملي في هيئة الصرف الصحي ، نعم ...هيئة الصرف الصحي ...أرجوكم ، لا تسخروا ..أنا محظوظة ، لولا شلل الأطفال لما تم تعييني في هذه الوظيفة "المرموقة " ،ملايين العاطلين يحلمون بوظيفة حكومية مثلها ، أتلمس طريقي وسط الزحام ،فجأة، ينبثق من العدم صوت أشبه بالفحيح قائلا "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به "، اشعر برجفة شديدة تسري في جسدي ،كما لو أن جيوشا من النمل تزحف عليه ، أتظاهر بأني لم أسمع شيئا، اتشبث بعكازاي وأتهيأ للنزول ، ...ومجددا تبدأ سيمفونية النقر الحزينة.

تمت

مكالمة من مجهول

في هدأة الليل، اعتراها شعور مقبض ،خواء داخلي ،احساس بالملل و الوحشة ، تناولت الرواية الحالمة من على الطاولة الخشبية بجانبها ، راحت تقلب صفحاتها بفتور ، سرحت بعينيها في الورود والقلوب الحمراء التي جعلت تتراقص على شاشة التلفاز، ثمة شيء ينقصها ، ما هو ، لا تدري.

فجأة ، تعالت رنات هاتفها المحمول ، تطلعت الى الشاشة ، رقم مجهول ! من يا ترى ؟ نحت الرواية جانبا.

-الووو ، مين ؟

-وحشتيني ، هابي فالنتين.

-انت ؟ معقول لسه فاكرني ؟

-ولا لحظة نسيتك.

احست بقلبها ينتفض كمراهقة عاشقة ، نشوة عارمة غمرت جسدها ، قشعريرة محببة هجرتها منذ زمن طويل.

فجأة ، انتبهت على شخير زوجها الذي غط في نوم عميق بعد شقاء يوم طويل ، لاحت منها نظرة الى طفلها الصغير الذي غفا

بجوارها على الاريكة كملاك جميل ، نداءات التوسل المنبعثة من الهاتف القت بها في لجة من الحيرة ، تطلعت الى طفلها مجددا ،ارتعشت اناملها، حدقت في الهاتف ، ، ضغطت ...انهاء!

تمت

الحب ...واشياء أخرى

دائما ما يراوده ذلك الكابوس، غرفة نوم وردية الجدران، يتوسطها فراش وثير مغطى بشراشف زاهية من الساتان و المخمل ، الموسيقى الرومانسية الحالمة تتردد في الخلفية صانعة جوا من السحر والاسطورة ، تحت الاغطية... هو .... وفي احضانه شاه مسلوخة!

ينتفض من الفراش مرتعدا ، تحاول زوجته تهدئته ، تسأله عن سر هلعه ، يخبرها ان لا شيء.

ليس ذلك الكابوس فحسب ، بل هناك تنويعات أخرى منه ، أحيانا يحلم بأنه يغوص في بئر من الهلام اللزج ، الهلام يغطي جسده كله ، يتسرب الى اعماقه ، ينشب في روحه ، يكاد يختنق ، كلما حاول ان يتخلص منه ، غاص اكثر.

يجلس على مقعده المفضل في الشرفة ، ينفث دخان سيجاره في الهواء ، نسمات الفجر تداعب وجهه وشعره ، يتناهي الى مسامعه وقع خطوات ثقيلة قادمة نحوه ، يرفع عينيه المسهدتين في حركة متراخية ، فاذ بزوجته تميل بجذعها

الهائل لتضع امامه فنجانا من القهوة ، بصعوبة تحشر جسدها المترهل في المقعد المقابل له ، كتل من الشحم تتدلى على الجانبين ، ، يحدق مليا في وجهها الممتلىء الذي يشع براءة و طيبة ، يحدث نفسه وعيناه تجولان بين السحب التي بدت كالخراف البيضاء:

-كيف تحولت الفراشة الرقيقة الى حيوان الماموث المنقرض ؟

يطرق برأسه لبرهة ثم يفاجئها بنبرة متهدجة:

-حبيبتي، ممكن اقولك حاجة؟

ترتسم على وجهها ابتسامة وديعة ، تتمتم:

-اتفضل يا حبيبي- .

انتي طالق!

تمت

الذي خرج من الجرة!

تعالت أصوات الديكة معلنة فجر يوم جديد ، الفلاحون يمرقون واحدا تلو الاخر يسوقون بافتخار قطعان الأغنام والماشية وكأنهم يقودون فرقا من المقاتلات الحربية، من ورائهم لفت المكان عاصفة من الاتربة سرعان ما تلاشت بين أشجار التوت بحباتها البيضاء ، تحت شجرة الصفصاف الوارفة على جانب الطريق وقفت امرأة عجوز تغسل بحماس سيارة "فيات" بيضاء اللون ، يديها المعروقتين ووجهها الأسمر النحيل يحكيان الكثير عن قسوة الليالي ومرارة الايام ، المارون يلوحون بأيديهم محيين ومهنئين على التحاق ولدها الوحيد بالهيئة القضائية ، وكيف لا يسعدون وقد بات ابناء الفقراء لائقون اجتماعيا ،يهرول باتجاه السيارة رجل متوسط العمر حاملا طستا من الماء ومن على كتفه تدلت فوطة صفراء نظيفة ، يشمر عن ساعديه حالفا باغلظ الايمان ان يغسل السيارة بنفسه.

من على البعد، لمعت اكواب زجاجية ملأي بالشربات تحملها فتاة ريفية باهرة الجمال، تتهادى الفتاة نحو السيدة العجوز حاملة الصينية برقة ونعومة، تهتف مطلقة وابلا من الزغاريد :

-ألف مبروك يا ست الحاجة، عقبال ما تفرحي به عن قريب قادر يا كريم .

في دقائق، يعج المكان بالفلاحين والفلاحات، منهم من يمسح بطرف جلبابه الزجاج الامامي للسيارة ومن تنفض الغبار بطرحتها عن الزجاج الخلفي، ملصقات مهيبة تشبه القلوب الصغيرة غطت اللوحات المعدنية ، يتفتق ذهن أحدهم عن فكرة رآها الاخرون عبقرية، بسرعة يجلب فردة حذاء صغيرة من رقبة جاموسته ليعلقها في مرآة السيارة الداخلية درءا للحسد.

فجأة ..يلوح من باب المنزل الطيني المقابل لشجرة الصفصاف شاب نحيف اسمر البشرة يرتدي سترة رمادية انيقة ونظارة شمسية سوداء ، يتطلع الجميع اليه بانبهار رافعين اكفهم

فيما يشبه التحية العسكرية ،ينظر الشاب للجمع المحتشد دون ان ينبس ببنت شفه ، تهرول امه نحوه فاردة ذراعيها وهي تتمتم بالمعوذتين ، بابتسامة باهتة يربت على كتفها ناظرا بطرف عينيه الى ايديها المتسخة بغبار سيارته، يرسل نظرة سريعة الى داخل السيارة ، يمد يده في غضب نازعا الحذاء الصغير وملقيا إياه على جانب الطريق الترابي ، يدير مفتاح المحرك و ينطلق في عصبية مخلفا وراءه سحابة من العادم تلطم وجوه المحتشدين ، ينظرون لبعضهم البعض بأعين متسائلة ، ترتسم على وجه السيدة العجوز ابتسامة مرتعشة ، تعتذر مغمغمة بشيء عن انشغاله بمهام منصبه الجديد وارتباطه بموعد مع السيد مأمور المركز ، يصمت الجميع لوهلة ، ثم ينطلقون في صوت واحد ملوحين صوب السيارة التي كانت قد غابت وسط حقول القمح :

- كان الله في العون يا سعادة الباشا!

تمت

المتسامي...

يستفيق فجأة من عالمه الخاص على أصوات متداخلة ، لوهلة لم يتبين موضوع النقاش الدائر بين الزملاء ، عبارات متناثرة حول ارتفاع سعر الدولار وعروض الشقق في التجمع الخامس والعبور ،لا يدري لما لا تستهويه هذه الموضوعات ، ربما كان افضل من زملائه ..او أسوأ ...لا تعنيه الإجابة ..يكفيه انه سعيد بعالمه !

يحين موعد انتهاء العمل ، يهرع الموظفون الى التوقيع بالانصراف ، لا يجد في نفسه رغبة في الذهاب الى المنزل ، تلمع في ذهنه فكرة مفاجئة ، حضور عرض "المولوية " في ساقية الصاوي ، هناك ...وسط القبعات المستطيلة الحمراء والرقصات الدائرية الرشيقة ، تتمايل روحه و تحلق في عوالم روحانية شفيفة ، لا شيء فيها سوى النور.. والفرح.... والألوان.

يدلف الى داخل شقته في حالة من الهيام والنشوة ، ما زالت حلاوة الرقص متقدة في قلبه وروحه ، يخترق اذنيه صراخ زوجته وركضها خلف شياطينهم الصغار بالمقشة ، تقابله بوجه عابس والمقشة مشهرة في وجهه كسيف بتار ، تسأله عن سبب تأخيره ...ينظر اليها بشاربه الكث ونظاراته المستديرة ...يهم بأن يقول شيئا ...ثم يتركها و يمضي واجما .

يضيء انوار غرفة مكتبه ، يجلس الى طاولته الخشبية الصغيرة ، على الطاولة قلم ومحبرة و أوراق بيضاء ، في الزاوية مكتبة مكتظة بالعديد من الكتب ،" كفاحي" لأدولف هتلر ، "رأس المال" لكارل ماركس

،"الجمهورية " لأفلاطون ... وغيرها الكثير ، يتناول القلم ويغمسه في المحبرة ، بخط جميل منمق يشرع في اكمال روايته بعنوان " المتسامي".

يسطر جملة تعبر عن شعور البطل بالسمو واحتقاره للعالم ،
فجأة...تقطع عليه زوجته حبل أفكاره ، تسأله بنبرة غاضبة :

- هاه ....شفت لنا حل في ايجار الشقة المتأخر والديون اللي علينا؟

يتطلع في وجهها في صمت ، يمد يده الى القلم ، يكتب :

"كثيرا ما يشعر بالسمو واحتقار العالم ...وخصوصا زوجته !

تمت

بصقة على وجه الزمن

" ان شاء الله نتصل بك "..كانت هذه هي الجملة الأخيرة التي سمعها قبل ان يخطو الى خارج مقر المقابلة الوظيفية ، لطالما تكررت على مسامعه تلك الجملة ، عشرات المرات، بل مئات المرات ، لغويا ..صياغتها توحي بأنها وعد ، ولكن على ارض الواقع...هي فقط مجرد إشارة لانتهاء المقابلة .

في طريق عودته الى المنزل، استقل حافلة النقل العام ، عشرات من الأجساد المتلاصقة توزعت على المقاعد والطرقات ، مناديل ورقية متسخة تناثرت في كل مكان ،قشور حبات اللب والفول السوداني غطت المقاعد الجلدية المهترئة ، لا مكان لموضع قدم ، لاح امامه فراغ بالكاد يتسع لجسد طفل صغير، بلا تردد ، حشر نفسه فيه ، من بين الاذرع المتقاطعة والايدي المتعلقة بمقابض سقف الحافلة، شخص بنظره من النافذة الى المباني واللافتات التي راحت تجري سريعا مع حركة الحافلة ، تداعت الى ذهنه ذكريات تلك الأيام عندما كان يطوف على محلات ومقاهي ذلك الشارع ، لاينسى ذلك اليوم عندما حمل حقيبته الجلدية على ظهره بعدما ملأها بكشافات

الاضاءة والولاعات ، يومها اقترب من ذلك الرجل البدين الذي ظهرت على ملامحه وملابسه علامات الثراء والنعمة ،تقدم اليه بخطى مترددة هامسا :

-صباح الخير يا افندم ، مع سيادتك فلان من شركة .....

- يلا يا ابني امشي من هنا ، الله يسهلك .

لسبب لا يعلمه ، تراءات امام عينيه في تلك اللحظة شهادة تخرجه من الجامعة بتقدير جيد جيدا، اطرق برأسه ،سالت من عينه دمعة كفكفها بأكمامه ..وانصرف.

في كل مرة التحق فيها بوظيفة ، لم تسفر التجربة الا عن عملية نصب او استغلال ، رواتب بخسة ، أصحاب عمل جشعون ، ، لاترقيات ، لا تأمينات، لاعقود ، لاشئ ، انتهى الى حقيقة ان اليد البطالة في هذه البلاد ليست كما يقال نجسة ، ولكنها مغلولة.

هي بلاد يجبرك كل شيء فيها على ان تكرهها، لكي تحصل على عمل ،لابد لك من حل من اثنين ، اما الرشوة او الواسطة ، وهو لايملك شيئا منهما ، هو ابن الفقراء !

هناك مثل شعبي يقول " لا احد ينام بدون عشاء" ، غير ان ذلك لم يعد صحيحا الآن (لا اعلم متى كان ذلك صحيحا) ، الملايين الان يمضون أياما بطولها بلا شيء يقتاتون به ، حتى ان البعض صاروا ينبشون اكوام القمامة بحثا عن كسرة خبز ، اخبار الانتحار لضيق الرزق أصبحت امرا معتادا ، باتت كفاصل اعلاني ، ما ان يراه المشاهد حتى يقلب المحطة لمحطة أخرى للرقص الشرقي او كرة القدم !

نزل من الحافلة ، وما زالت حرائق غابات الأسئلة مشتعلة في رأسه ، لا بد من حل ، أي حل سوى المقابلات والوعود الكاذبة ..هكذا قال لنفسه ... السفر ، نعم، السفر هو الحل ، ولكن الى اين وكيف، الخليج، لا ،لا، كفالة واستعباد، هجرة غير شرعية ، وهذه أيضا لا ، احتمالات النجاح اقل بكثير من احتمالات تحولك الى وجبة شهية لأسماك القرش .

فجأة ...لمعت في ذهنه فكرة مجنونة، كنجم برق في سماء ليلة حالكة الظلمة .

بمجرد ان وصل الى المنزل ، اشعل جهاز الكمبيوتر، اضاءت الشاشة ، ثبت الكاميرا برفق ،شرع يسجل مقطعا على اليوتيوب بعنوان :

" جاسوس لأعلى سعر "

تمت

رضاع الكبير...

اشتعل الجو داخل الاستوديو وعبثا حاول المذيع تهدئة الضيفين ، نظرا الشيخ السلفي الى المفكر التنويري والشرر يتطاير من عينيه ثم سأله :

- اذن انت تنكر حديث رضاع الكبير؟
- اثباته او انكاره لا يعنيني.. هو امر منافي للعقل والمنطق.
- استغفر الله ...والله امثالك العلمانيين خطر على الإسلام...

فجأة ...أشار المذيع للضيفين بالتزام الهدوء ، اتي صوت احدى المشاهدات عبر الهاتف باكيا ملتاعا :

- الحقني ياباشا انا حاتسجن ، والنبي يا باشا ابوس ايدك ، انا وقعت ايصالات امانة علشان اجوز بناتي...والنبي والنبي..

ظهرت علامات الاستياء على وجهي الضيفين وغمغموا بشيء ينم عن الضجر من هؤلاء المتصلين المتطفلين...تدخل المذيع لإنقاذ الموقف وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مصطنعة:

- الو ...الو.... للأسف يا جماعة يبدو اننا فقدنا الاتصال ...ايوه. يا مولانا.... كنا بنقول رضاع الكبير ماله؟

تمت

رواية من خارج الصندوق ...

هؤلاء الروائيون منافقون. هم فقط يكتبون ما يرضى القراء والنقاد ولا يجرؤون ابدا على النبش في المحظور...هذا هو ما حدثته به نفسه وهو يسطر الفقرة الختامية في روايته الأولى بعنوان "شذوذ" .

اصدر تنهيدة عميقة وهو يمسك بمسودة الرواية بين يديه ، رفعها بحنو نصب عينيه كمن يحمل طفله الأول الذي اتى بعد طول انتظار ...وقف قبالة نافذة الشرفة الزجاجية وجعل يحدق في قطرات المطر التي راحت تتساقط على الأشجار وجدران المنازل الصفراء الباهتة مزيلة الاوساخ والاتربة .. ما جدوى الادب ان لم يمحو العفن ويكشف المستور، لقد سئم الجمهور من الافكار المكررة المستهلكة ...حب وغدر وفقر وانتقام ...لا بد من حجر يحرك المياه الراكدة...رواية من خارج الصندوق!

فجأة تناهى الى مسامعه صوت لطالما كرهه ...انه صوت ذلك الاديب المتكور بتحدث في التلفاز عن احدث اعماله...علت

ملامحه علامات الدهشة والاستياء...الا يستحي ذلك الرجل من نفسه؟ ...ان أصداء سرقته لأحدى رواياته من رواية انجليزية قديمة ما زالت تتردد في الأوساط الأدبية مثيرة نوبات من الاستهزاء والسخرية ....هو بارع جدا في افتعال الازمات واصطناع القضايا الجدلية التافهة ...فقط ليظل موجودا على الساحة ....الغريب ان هناك قطاعا كبيرا من الحمقى والمغفلين يسعون وراءه كالقطيع....ما علينا...من الان فصاعدا ...سيعرف القراء معنى الادب الحقيقي!

في غضون اسابيع ملأت روايته الاسواق والمكتبات ...اقبال غير مسبوق ونسبة مبيعات عالية حققتها الرواية ...على ان ذلك لم يكن مستغربا فقد قامت دار النشر بالترويج للرواية عن طريق بعض العبارات المثيرة مثل "ثورة الشواذ" ... " اول رواية تكشف العالم السفلي للمثليين جنسيا ".

لكن ما حدث في تلك الندوة التي نظمتها دار النشر لمناقشة روايته لم يكن متوقعا بالمرة. امسك الناقد الادبي الشهير بالميكروفون ومسح على صلعته اللامعة براحة يده ثم صرخ قائلا ... انها رواية "ايروسية " تثير الغرائز والرغبات الجنسية

الشاذة ..اين هي من " صورة دوريان جراي" و"الموت في البندقية" ... .المثير للاستغراب ان هذا الناقد نفسه معروف بالشذوذ الجنسي !

في صباح اليوم التالي جلس الى مائدة الطعام ينتظر اعداد زوجته لوجبة الإفطار ، تناول صحيفته اليومية المفضلة وراح يقلب صفحاتها ...اثار انتباهه تصريح لاحد الشيوخ باللون الأحمر قال فيه "رواية "شذوذ" ...نسف للقيم وتطاول على المقدسات...!! ..

في ضجر القى بالصحيفة جانبا وهم يتناول طعام الإفطار ، لاحظ ان الصمت يخيم على الجلسة والوجوم يكسو ملامح زوجته وولده ..سألهم عن السبب ...لم يرد احد ...صاح فيهم... ما بكم ...اطرق الابن و تردد لوهلة ثم قال :

- زملائي في المدرسة يقولون لي " ابوك شمال"

لم تصدق اذناه ما قاله الولد ..ترك المائدة وانصرف غاضبا الى حجرة النوم ..لحقته زوجته تهدأه ، امسك بها من كتفيها وسألها بأعين دامعة :

-ارايت ما قاله الولد؟ كيف لايدرك قدر والده في عالم الادب؟

- دعك منه ...هو وزملائه أطفال صغار لا يفهمون معنى الادب ..ولكن اخبرني ...من اين اتيت بكل تلك التفاصيل في روايتك...صديقاتي قرأن الرواية والبعض يلمحن بأنك شاذ جنسيا .

-انت ايضا ؟...الا تعرفين زوجك؟

اقترب منها محاولا ضمها الى صدره ، اشاحت بوجهها عنه ثم تمتمت :

-قرأت مرة في احد كتب علم النفس ان بعض الشواذ يكونون مزدوجي الميول الجنسية.

شعر بضغط نفسي هائل لم يصادفه ابدا في حياته، تساءل في نفسه "كيف يمكن لهذا المجتمع ان يكون بهذا القدر من الغفلة والتغافل، الكل يعلم ان بالمشكلة ولا يقدر احد على

مصارحة نفسه بها، والانكى انهم يلصقون كل حرف بي وكأنها سيرة ذاتية ..تبا لاسراب النعام ! "

لم يكن امامه مفر من ان يلجأ لطبيب نفسي عله يجد عنده ما يهدأ به من روعه ويسكن فؤاده .

في عيادة الطبيب النفسي الشهير ذو الشعر الابيض والصوت الرخيم الهادىء، استلقى على ظهره واستسلم للموسيقى الرومانسية الحالمة ... قال بصوت منهك :

- انا تعبت يادكتور .. هؤلاء الناس لايستطيعون ان يفرقوا بين كوني اديب انسج الحكايات من الخيال وبين حياتي الشخصية.

ابتسم الطبيب ابتسامة دافئة تبعث على الطمأنينة والارتياح ثم قال :

-اهدا يا صديقي ..انا افهمك جيدا وهؤلاء معذورون ...هم لم يعتادوا ان تكون الروايات بمثل هذه الجرأة ...

-احمد الله انك فهمتني يا دكتور .

- ولكن دعني اسألك لو تكرمت.

-تفضل يا دكتور

-هل تعرضت لاعتداء جنسي في طفولتك؟

تمت

الانكسار

بخطى متثاقلة يدلف الى داخل مكتب الحاق العمالة المصرية بالخارج، ينظر يمينا ويسارا بأعين زائغة ، اكداس من البشر تراصت على الارائك والمقاعد ، أطباء ومهندسين ومدرسين وعمال ،الصمت والحزن يخيمان على الجميع.

يزفر بقوة مسندا رأسه الى الحائط ، يحدق في العيون الحزينة والوجوه المكدودة ، تمر الدقائق كما لو كانت دهورا، بصوت جهوري ينادي فراش المكتب اسمه ، يدخل بخطى مضطربة الى غرفة المقابلات ، رجلان سعوديان متوسطا العمر يجلسان الى طاولة معدنية مستطيلة، بلا اكتراث يشير احدهم اليه بالجلوس ، يمطرونه بوابل من الأسئلة الاكاديمية والتربوية ، يجيب عليها باقتدار ، يميل احد السعوديين بجذعه نحو الآخر هامسا في اذنه ، يبتسم الاخير ابتسامة خبيثة فيما يسحق علبة البيبسي الفارغة و يطوحها في القمامة ، ينظر اليه في تحدي ويطلق السؤال:

-اعرب ما يلي ..."تهز الراقصة فيفي عبده مؤخرتها على واحدة ونص"

باغته السؤال ، شعر بأن جيوشا من النمل تتصارع فوق جسده ، انفجر السعوديان في نوبة من الضحك الهستيري ،عبثا حاول ان يداري ارتعاش اطرافه ، تجاهل السؤال وسألهم بنبرة منكسرة واعين دامعة:

-هو ال..ال ..المرتب كام حضرتك ؟

-الف ريال.

يمتقع وجهه، بدون ان ينبس بكلمة ينهض من مكانه، يمضى الى الباب في صمت، ثم يلتفت إليهم نصف التفاتة وفي عينيه نظرة انكسار.. يغمغم:

-ما تعملوش حسابي!

ويغلق الباب ...ويتلاشى في الزحام

تمت

المجنونة

كعادتها كل مساء ،ترتقي السلم الخشبي لتجلس تحت تعريشة العنب على سطح منزلها الطيني القديم ،الشوارع خالية من المارة الا من الاسطى "حمودة" العجلاتي الذي راح يلملم دراجاته الهوائية استعدادا لغلق المحل.

"ام سعيد " الجارة العجوز وقفت تحت عمود الانارة الصدأ تعد نقودها لتحاسب سائق التوكتوك الذي اصر على رفع الاجرة بعد زيادة اسعار البنزين.

تسند ذقنها على راحة يدها وتحدق في السحب التي تكالبت على القمر كقطيع ذئاب يحاصر حملا وحيدا ، القمر يجاول جاهدا ان يتخلص من المخالب الدخانية التي نشبت في احشائه، غير انه يخفق ويزوي في صمت حزين.

تشعر برعدة مفاجئة توقظها من هواجسها،مازال ذلك السؤال يقض مضجعها منذ ان خرجت للمعاش من سنوات قريبة ،ما معنى الحياة ؟ ماجدوى ان تولد لتموت وتفرح لتحزن وتحب لتفارق؟

السطح سلواها في وحدتها القاتلة ،تطالع المارة من تلك

الفتحة الضيقة في السور اسفل حبل الغسيل ،تطمئن على اخبارهم وتعرف ما فعل الزمان بهم ،الا ان ما ينغص عليها حياتها هي تلك المجموعة من الاشقياء الصغار الذين لا يعرفونها ، منذ ان رآها احدهم ذات مساء تحرك رأسها يمينا ويسارا في تلك الكوة الضيقة والجميع باتوا ينادونها " المجنونة" ، لم يستطع احد منعهم من ذلك رغم تأنيب الاهل وعقابهم لهم.

عندما شكت لابنتها المقيمة مع زوجها في الخليج من سوء سلوك الصغار ، اقترحت عليها ان تشغل فراغها بالفيسبوك ، عالم غريب ومثير تفتحت عيناها عليه، اصدقاء من كل الاعمار والاجناس ، ذات مساء ربيعي منعش ، صنعت لنفسها كوبا من الشاى المحلى بالنعناع وجلست تعد منشورا عن تردي الحال وغلاء الاسعار ،ختمت المنشور بقولها : ان جماعة الاخوان "الارهابية" لم ترهبنا في سنة حكمها كما يرهبنا النظام الحالي...ما ان نشرت البوست حتى انهالت عليها الشتائم والاتهامات مابين الخيانة والعمالة واثارة الفتن..

زفرت بغضب محموم ومضت صوب السلم الخشبي بخطى

واهنة ، وضعت قدمها على اول درجة وهمست: شقاوة الصغار و لا غباوة الكبار..

تمت

الزيف

يتأمل مليا الجملة الأخيرة من رواية الكاتبة الشابة ، يمرر عينيه عليها في تلذذ ، يقرأ هامسا "المعرفة التي لا تسمو بصاحبها ،لا يعول عليها" ، كثيرا ما يردد هذه الجملة بين أصدقائه ، وها هو الان يراها امامه في رواية بقلم انسان لم يلتقيه من قبل ، يضيء وجهه بابتسامة حانية وهو يحدق في العصفور الذي انطلق لتوه الى خارج الغرفة ، يتذكر عندما اشترى الرواية فقط لجاذبية غلافها، وبالرغم من تعرضه لخيبات امل متكررة بسبب فعلته هذه الا ان الغلاف الانيق جاء ملائما لعمق المحتوى هذه المرة.

ينطلق في شغف الى معرض الكتاب عازما على ان يشتري كل رواياتها ،في احدى زوايا المعرض يلمح الروائية الشابة وقد تحلق حولها جمع من الفتية والفتيات،لوهلة يصدمه منظر نقابها الأسود الذي جعلها تبدو كلطخة سوداء وسط لوحة فنية بديعة الالوان، يخترق الحشد وقد تأبط كل رواياتها

تحت ذراعه ، يقف امامها باسطا يده وعلى وجهه ابتسامة دافئة :

-مساء الخير يا افندم ، انا انبهرت برواية حضرتك الأخيرة جدا!

-جزاك الله خيرا.. بس اسفة مش باسلم على رجالة!

باغته رد فعلها ، شعر كما لو انه يترنح على ذروة جبل شاهق ويده امامه معلقة بين السماء والأرض، يمضى الى خارج القاعة منكسا رأسه ، في أول سلة قمامة يقذف بكل رواياتها وهو يتمتم " صحيح... المعرفة التي لا تسمو بصاحبها ،لا يعول عليها".

تمت

الابيض ...لون الصمت

انتصف ليل القاهرة ، سكون غامض يخيم على اركان الشقة الغافية على ضفة النيل الساهر ،على شاشة التلفاز تتقافز مشاهد مكررة من فيلم عربي قديم، بلا اكتراث تحدق في الشاشة ، جدران الشقة بيضاء ، عارية من اية تفاصيل، كما لو انها متتالية من الفراغ اللانهائي.

تستفيق من سباتها العميق على صوت صراخ صغير، تهرول الى غرفة رضيعها ، تضمه الى صدرها ، تهدهده ، لوهلة تشعر كما لو انه هو من يهدهدها ،يخلد مجددا الى النوم وتعود هي الى الصالة ، ينبعث من المطبخ ضوء ازرق خافت ،بخطى متثاقلة تمضي الى هناك ، رجل ثلاثيني انحسر الشعر عن مقدمة رأسه يقف امام الثلاجة، يتناول كوبا من الماء بيده اليمني فيما استقرت اليسرى على كرشه الصغير، يلتفت اليها والكوب في يده ،بنبرة يخالجها النعاس يسألها "لسه صاحية؟" ...تنظر بأعين ذاهلة. ...لاترد.

وكأن شيئا لم يكن، يتمطى ويتثاءب ويستدير متوجها الى غرفة النوم ، تطفىء هي مصابيح الصالة وتمضي الى الشرفة ،

تتمدد على مقعدها الاثير المبطن بالقطيفة الحمراء،على الجانبين أصص ملأى بأزهار النرجس والليلاك والسوسن، السماء غائمة.. مقبضة ...تكاد تكون خالية من النجوم ..الا من نجمة وحيدة بعيدة...تهب دفقة هواء شتوية مباغتة على الشرفة ، ينكشف ردائها الأبيض الشفاف عن ساقيها المصقولتين ،لسبب غير معلوم تتركهما عاريتين، ينفرج طرفي ثوبها عن صدرها المكتنز المفعم بالحياة، تحاول احكام الرداء على نهديها ،تقبض عليهما بقوة ، تعتصرهما ، ينتفض جسدها في رجفة شديدة ممزوجة بخدر لذيذ، تزفر بقوة وتميل براسها للوراء ،تلوح منها التفاتة الى النجمة الوحيدة البعيدة، يخيل اليها كما لو أن النجمة تومض لها كي تواسيها ....تبتسم ...وعيناها تغالبان البكاء.!

تمت

للتواصل مع الكاتب

ايميل :

lovecandles2009@gmail.com

فيسبوك :

https://www.facebook.com/profile.php?id=100031475580086